اجاثا كريستي



الشبح القاتل

أجاثا كريستي

- ☐ الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.
- ☐ بيع من كتبها أكثر من 650 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.
- ☐ كاتبة روايات بوليسية، ولدت في جنوب غرب إنجلترا من أب أميركي وأم إنجليزية، لكنها تقول " إني إنجليزية ". تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعاً. فرواياتها كبيرة متكاملة، فيها عشرات الشخصيات الحيَّة التي يشعر بها الإنسان دائماً. لا تترك شخصية تظهر في رواية لها دون أن توضح كل معالمها في لمسات سريعة طريفة مهما كان دور هذه الشخصيَّة في الرواية، كما تميَّزت أيضاً بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. إنّها كاتبة فاضلة ليس في كتاباتها ما يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضا أهدافاً إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

ثمن النسخة

لبنان	3000 ل. ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل. س.	مسقط	1,5 ريال
الأردن	1,5 دينار	مصر	10 جنيه
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1,5 دينار	اليمن	400 ريال

DAR MUSIC FOR PRESS, PRINTING, PUBLISHING & DISTRIBUTION, S.A.R.L. JOUNIEH-LEBANON
ISBN 9953-38-198-4
9 789953 381985

الشبح القاتل

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرَّبة

الشبح القاتل

(56)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب 374 جونيه – لبنان

تلفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

البريد الإلكتروني info@inter-press.org www.inter-press.org

قام بعون الله الأستاذان / **فهمي أحمد محمد - عبد المنعم علي خطاب**

مشكورين بمراجعة هذا الكتاب وتدقيقه وتصويب أخطائه اللغوية والمطبعية.

الغلاف بريشة الفنان

محمد شهدي

جريمة عيد الميلاد

- 1 -

– إنني آسف جداً..

– السيد "**بوارو**"، أرجوك ألا تسرع بالحكم على الأشياء، ثمة أمور بالغة الخطورة تتصدر اهتمامات الدولة، ولسوف يقدر تعاونك معنا أبلغ تقدير.

– شكراً لما أبديت من مشاعر. غير أنني لا أستطيع أن أضطلع بما تسألني القيام به، وبالذات في هذا الفصل من السنة.. وعاد السيد "**جيسموند**" يقاطعه محاولا إقناعه:

– إنها أيام الاحتفال بعيد الميلاد. وسيكون هذا الاحتفال بالعيد جرياً على التقاليد القديمة في الريف الإنجليزي.

ولم يؤد الحديث عن الريف الإنجليزي إلى الغرض المطلوب، بل كان من شأنه أن باعد بين "**هركيول بوارو**" والاستجابة إلى ما يبغيه محدثه منه. وكان تعقيب "**بوارو**":

– إنني.. إنني لست إنجليزي النشأة. وعيد الميلاد في بلادي عيد الأطفال الصغار.. أما نحن الكبار، فعيدنا الذي نحتفل به هو عيد رأس السنة.

– إن عيد الميلاد في "إنجلترا" هو عيد الجميع، والاحتفال به تقليد إنجليزي راسخ، وأؤكد لك أنك ستجد متعة إذا ما اشتركت في الاحتفال به بـ"**كنجز لاسي**".. ذلك القصر العتيق الرائع كما تعرف.. إن أحد أجنحته يرجع إلى القرن الرابع عشر.

وبدلا من أن يقتنع "**بوارو**" زاده هذا الحديث نفوراً، وأثار في ذاكرته ما سبق أن تعرض له من متاعب في قصور الريف الإنجليزي التاريخية. وبعد أن ألقى نظرة على مسكنه العصري وما أحاط به نفسه من أسباب الدعة والراحة، قال:

– إنني لا أرحل عن "**لندن**" في الشتاء عادة. فرمق السيد "**جيسموند**" زميله بنظرة أتبعها بأخرى إلى "**بوارو**"، ثم قال:

– السيد "**بوارو**" أعتقد أنك لا تقدر مدى جدية الأمر.

وكان الزائر الثاني ملتزمًا جانب الصمت، حريصًا على عدم الاشتراك في الحديث الدائر بين الرجلين. وكان جالسًا يحدق النظر إلى حذائه المصقول اللامع. كان شابًا لا يتجاوز الثالثة والعشرين من العمر، أسمر الوجه. يبدو عليه بجلاء مدى ما تعتمل به نفسه من أسى. وعقب "**هركيول بوارو**" على ما سمعه من "**جيسموند**" بقوله:

– أجل، أجل. إن الأمر جد خطير بكل تأكيد، وإني لمشفق على سموه من صميم قلبي، ومقدر لدقة مركزه.

وكان "**بوارو**" يتجه بحديثه إلى ضيفه الشاب. غير أن السيد "**جيسموند**" قال له:

– إن الوضع بالغ الحرج، والموقف دقيق. فتحول "**بوارو**" بنظراته عن زائره الشاب إلى محدثه يرمقه بعينين نفاذتين؛ لأنه لا يختلف عن كثيرين ممن التقى معهم في حياته العملية. ثم انبرى قائلا:

– يمكنك أن تجد في الشرطة بغيتك.

– لا.. إن الشرطة لا تصلح في مثل هذا الموقف. إنها ستلتزم بما يفرضه القانون من إجراءات، ونحن لا نملك بين أيدينا دليلا.. إنها مجرد شكوك، وأنت تدرك مثل هذه المواقف. فعاد "**هركيول بوارو**" ليردد:

– أجل، أدرك مثل هذه الأمور بما من شأنه أن يحملني على الشعور بمدى ما تلقونه من عنت.

وإذا كان قد دار بخلده أن ما يبديه من مشاعر رقيقة سوف يعني شيئًا لزائريه، فإنه بذلك يكون مخطئًا. إنهما لا يريدان منه مجاملة لفظية رقيقة، بل يريدان منه مساعدة عملية منتجة. وعاد السيد "**جيسموند**" ليتحدث عن مباهج عيد الميلاد الإنجليزي:

– لم يعد لأعياد الميلاد رونقها القديم، بصفة عامة. غير أن أعياد الميلاد الإنجليزية لاتزال على معناها الصحيح، فجميع أفراد الأسرة يجتمع شملهم حول شجرة عيد

الميلاد وحول مائدته التي تفخر بما عليها من ديك رومي، وفطيرة البرقوق، وتمثال لرجل من الثلوج خارج النافذة.. وتدخل "**هركيول بوارو**" معقبًا:

– لإقامة تمثال من الثلوج يجب أن تتوافر تلك الثلوج.

– كنت أتحدث اليوم إلى صديق بمصلحة الأرصاد، وقد علمت منه بأنه من المرجح أن تتساقط الثلوج في عيد الميلاد.

ولم يكن من الصواب ترديد هذا الاحتمال، إذ انبرى "**بوارو**" قائلا:

– ثلوج في الريف..! هذا يعني بردًا قارسًا في ذلك القصر الحجري الفسيح.

– لا.. لقد تغيرت الأحوال في السنوات العشر الأخيرة، بعد إدخال نظام التدفئة المركزية. ولأول مرة يتساءل "**بوارو**" باهتمام:

– هل أدخلوا نظام التدفئة المركزية في "**كنجز لاسي**"؟ فانتهز "**جيسموند**" الفرصة السانحة قائلا:

– أجل، وإنه لنظام تدفئة رائع.. وأؤكد لك يا عزيزي "**بوارو**" أن "**كنجز لاسي**" هو خير مكان يمكن أن تستمتع به في الشتاء.

– لم أكن أتوقع سماع ذلك عن "**كنجز لاسي**". وحاول السيد "**جيسموند**" أن يواصل طرق الحديث قبل أن يستعيد صلابته بقوله في شبه تضرع:

– إنك خير من يقدر مدى ما نتعرض له من حرج، وما نحن فيه من مأزق مستحكم الحلقات. وأومأ "**هركيول بوارو**" برأسه إيجابًا..

– وفي الحق إن المشكلة ليست من المشكلات اليسيرة؛ فهذا شاب له شأنه، وهو الابن الوحيد لحاكم إحدى الدول الشرقية الثرية، وقد وصل إلى "**لندن**" منذ بضعة أسابيع. وكانت بلاده تجتاز فترة من القلاقل والتذمر. وإنه وإن كان الرأي العام محافظًا على ولائه للأب الذي ظل ملتزمًا بأساليب الحياة الشرقية، إلا أنه كان في شك من أمر الجيل الجديد. فقد كانت لهذا الجيل نزواته الغريبة التي لم تكن لتحظى بتأييد أو رضا.

وكانت خطبة الابن قد أعلنت حديثًا.. وكان المفروض أن يتزوج ابنة عم له، وهي فتاة في مقتبل العمر، كانت حريصة على ألا تتظاهر بأية ميول غريبة في

بلادها على الرغم من أنها تلقت تعليمها في "**كمبردج**". ثم أعلن يوم الزفاف، وسافر الأمير الشاب إلى "**إنجلترا**" حاملا معه بعض حلي الأسرة الذائعة الصيت؛ لإعادة صياغتها عصريًا. وكان ضمن هذه الحلي ياقوتة ثمينة نزعت من قلادتها القديمة وثبتت في صياغة جديدة بمعرفة "كارتييه" الجواهري الشهير. ثم كان ما كان من أحداث.. إذ لم يكن من المستبعد ألا يرتكب شاب قد أوتي مثل هذا الثراء من حماقات الصبا ما يتفق مع نزواته وميوله، شأنه في ذلك شأن سائر الأمراء من الشباب.

وفي غمرة المتعة والانبهار، أطلع الأمير صديقته على الياقوتة الثمينة في صياغتها الجديدة. ثم ما كان منه إلا أنه جانب الصواب بنزوله على رغبتها فاستجاب إلى سؤالها إياه أن يأذن لها بالتحلي بالياقوتة، ليلة واحدة فقط..! وبينما كانا جالسين إلى مائدة العشاء، استأذنت الصديقة في التغيب بضع دقائق؛ لتصلح من زينتها. وانقضت دقائق ودقائق، ولكن السيدة لم تعد. وكانت قد غادرت المبنى من أحد أبوابه الأخرى؛ لتختفي حاملة معها الياقوتة النادرة. هذه الحقائق التي لم يكن من المستطاع إعلانها على الملأ بدون التعرض لأسوأ النتائج والعواقب. إن هذه الياقوتة كانت أكثر من مجرد حجر كريم، إذ كانت لها قيمتها التاريخية التي تضفي عليها من الأهمية ما من شأنه أن يستتبع ضرورة إحاطة ظروف اختفائها بالكتمان خشية ما قد يؤدي إليه إعلان ذلك من عواقب سياسية.

ولم يكن السيد "**جيسموند**" بالرجل الذي يفصح عن هذه الحقائق بلغة مبسطة. بل كان سرده لها في صورة منمقة زاخرة بالمعاني. ولم يكن "**هركيول بوارو**" ليدري من حقيقة أمر السيد "**جيسموند**" شيئًا.. لقد التقى مع الكثير ممن هم على شاكلته. ولم يكن يدري ما إذا كان للسيد "**جيسموند**" علاقة بوزارة الداخلية، أم بوزارة الخارجية، أم بغيرهما من إدارات سرية تختص بمثل هذه الشئون التي تتصل بوزارة "**الكومنولث**". ومهما يكن من أمر، فمن المتعين إماطة اللثام عن اختفاء الياقوتة والعمل على استعادتها.. وقد ألح السيد "**جيسموند**" في أن السيد **بوارو**" هو الرجل الذي بوسعه أن يقوم بذلك دون غيره. وكان تعقيب

"**هركيول بوارو**" وهو يومئ برأسه موافقًا:

– ربما كان ما تقوله صحيحًا. غير أنك لم تحدثني بالكثير مما يجب أن يكون أساسًا للقيام بهذه المهمة. إن كل ما سمعته منك مجرد افتراضات وشكوك لا غناء فيها.

– السيد "**بوارو**" إنك خير من يدرك حقيقة مواهبك، وإنك لقادر على صنع المعجزات.

– ولكنني لا أوفق دائمًا.

غير أن هذا كان مجرد تواضع مكشوف منه. فلقد كان من المعروف عن "**بوارو**" أنه لا يضطلع بمهمة ما إلا كان التوفيق حليفه. واستطرد السيد "**جيسموند**" قائلا:

– إن سموه مازال في مقتبل العمر.. وإنه لمن المؤسف أن تدمر حياته لمجرد مسلك طائش. وتطلع "**بوارو**" إلى الشاب المطأطئ رأسه في إشفاق قائلا:

– إن سن الشباب هي فترة الحماقات والطيش.. ومن المسلم به أن ما يصدر عن الرجل العادي في هذه الفترة ليس بذي بال. أما ما يصدر عمن يكون في مثل مركزك، فتختلف نتائجه وملابساته. ثم إن زواجك القريب يضاعف..

فانبرى الشاب مقاطعًا، وقد تدفقت الكلمات من بين شفتيه:

– هذا هو بيت القصيد.. وهنا تكمن المشكلة. إن زوجتي المقبلة لا تعرف من الحياة سوى وجهها الجاد.. وهي شديدة التزمت، بعيدة الآمال، ترجو لبلادنا في عهدي ما لم يتح لها في عهد والدي من تقدم وفلاح.. وإنني لواثق بأنها لن تغفر لي ما سوف ينجم عن اختفاء هذه الياقوتة من فضيحة تتناسب مع أهميتها التاريخية، وما سفك في سبيلها من دماء، وأزهق من أرواح..! وأطرق "**هركيول بوارو**" قليلا، ثم تطلع إلى السيد "**جيسموند**" قائلا:

– أرجو ألا يصادفنا شيء من هذا القبيل.. وبعد أن تحرك السيد "**جيسموند**" في مقعده قلقًا، قال:

– لا، لا. فلن يكون ثمة شيءمن ذلك.

– ومن أدراك. إن من يمتلك الياقوتة الآن، لن يحجم عن ارتكاب أي شيء في

سبيل الاحتفاظ بها ما دام لها هذا التاريخ الدموي الطويل.

– لا أعتقد أن شيئًا مما يجول في خاطرك يمكن أن يعترض سبيلك..

– إن من دأبي أن أفترض جميع الاحتمالات. فتأمله السيد "**جيسموند**" بنظرات فاحصة، قبل أن يقول له:

– السيد "**بوارو**" أعتقد أننا اتفقنا.. متى ستسافر إلى "**كنجز لاسي**"؟

– وكيف أفسر وجودي هناك، وبماذا أبرر زيارتي؟ فابتسم السيد "**جيسموند**" ابتسامة الواثق بنفسه قائلا:

– يمكن تدبير ذلك بدون عناء.. دع لي هذا الأمر، وثق بأن كل شيء سيبدو طبيعيًّا، وسوف تجد آل "**لاسي**" قومًا ترتاح النفس إليهم.

– وهل أنت واثق بما قلته عن جهاز التدفئة؟

– كل الثقة.. وأؤكد لك أنك ستجد في القصر كل وسائل الراحة.

– إذن، فقد قبلت القيام بما سألتني إياه.

- 2 -

كانت درجة حرارة قاعة الاستقبال الفسيحة بقصر "**كنجز لاسي**" محتملة، حينما كان "**هركيول بوارو**" جالسًا يتحدث إلى السيدة "**لاسي**" بجوار إحدى نوافذ القاعة المسدلة ستائرها، وكانت السيدة "**لاسي**" تستمع إلى "**بوارو**" وتتحدث إليه بصوت ساحر عميق:

– أرجو أن تستمتع معنا بسهرة عيد الميلاد.. إنها سهرة عائلية بحتة.. وستضم فقط، حفيدتي وحفيدي وأحد أصدقائه، و"**بريدجيت**" ابنة أخي، و"**ديانا**" ابنة عمي، و"**دافيد ويلفين**" الصديق القديم. ولقد علمت من "**أدونيا موركومب**" أن هذا هو ما تريده، سهرة عيد الميلاد التقليدية. وهذا ما سوف نحققه لك بالفعل، فزوجي كما تعلم يعيش في الماضي.. وهو يحب أن يرى كل شيء كما كان يجده حينما كان صبيًّا في الثانية عشرة من عمره، يقضي أيام إجازته هنا. وقد حرصنا على تزيين شجرة عيد الميلاد وعلى عدم إغفال شيء مما يجب أن تضمه المائدة من

حساء، وديك رومي، وفطائر حلوى البرقوق بكل ما يوضع فيها من أشياء.

– إنك تثيرين شهيتي يا سيدتي.

– أعتقد أننا سنتعرض جميعًا لعسر هضم غير مألوف في مساء الغد. وأمسكت عن مواصلة الكلام بعد أن بلغت مسامعها أصوات ضحكات عالية خارج النافذة، ثم قالت:

– ترى ماذا يفعلون.. لعلهم يلهون ويعبثون ما شاء لهم لهو الشباب وعبثه.. كنت أخشى أن يضيق الشباب ذرعًا بقضاء عيد الميلاد هنا، غير أنني أسمع ما يدل على النقيض مما خشيت.. أرجو أن نوفق في إرضاء الجميع.

– سيدتي، إنني جد شاكر لك ولزوجك أن أتحتما لي فرصة حضور هذه المأدبة العائلية كأحد أفراد الأسرة.

– إنه ليسرنا أن تشاركنا هذه المناسبة.. وإذا ما لمست من "**هوراس**" بعض الخشونة، فلا تلق بالا لمسلكه.. فهذه هي طباعه. أما ما عقب به زوجها العميد "**هوراس لاسي**" على دعوة "**بوارو**" فقد كان:

– لست أدري ما الذي دعاك لدعوة مثل هذا الرجل الأجنبي ليعكر علينا صفو عيد الميلاد..؟ ولماذا لم توجهي دعوتك له لزيارتنا في يوم آخر..؟ إنني لا أحب هؤلاء الأجانب..! فليكن، ما أظن إلا أن هذه هي رغبة "**أدونيا موركومب**" بودي لو عرفت ما الذي حدا بها على ذلك..؟ ولماذا لم توجه إليه الدعوة في منزلها..؟ فأجابته السيدة "**لاسي**":

– لأنك تعرف جيدًا أن "**أدونيا**" تذهب دائمًا إلى "**كلاردج**". وتفرس فيها زوجها قائلا:

– "**إيما**" هل تدبرين شيئًا..؟

– أدبر شيئًا..؟ لا بكل تأكيد.. وماذا تراني مدبرة..؟ فضحك العميد "**لاسي**" الشيخ من الأعماق، وهو يقول:

– "**إيما**"، كلما ازددت تظاهرًا بالبراءة ازددت اقتناعًا بأنك تدبرين شيئًا. إنني خير من يعرفك.

وبعد أن استعرضت السيدة "**لاسي**" ما كان بينها وبين زوجها، واصلت حديثها مع "**بوارو**" قائلة:

– قالت "**أدونيا**" إنها تعتقد أن بوسعك مساعدتنا.. لست أدري كيف سيتأتى لك هذا، وإن كانت قد قالت إن بعض أصدقائها قد امتدح جهودك في قضية على غرار قضيتنا.. لعلك لا تعرف شيئًا عما أتحدث به إليك؟

فتطلع إليها "**بوارو**" مشجعًا وكانت السيدة "**لاسي**" تناهز السبعين من عمرها، يتوج رأسها شعرها الناصع البياض وهي تجلس منتصبة القامة، يفيض وجهها صحة وتتألق عيناها الزرقاوان ذكاء وعزمًا وأخيرًا قال لها:

– السيدة "**لاسي**"، إذا كان ثمة ما أستطيع القيام به، فإن هذا سيكون من دواعي سروري. إن الأمر كما فهمت يتصل بنزوة فتاة تعسة.

– أجل.. وإنه لأمر شاذ أن أجدني مضطرة إلى أن أتحدث به إليك ومهما يكن من أمر، فإنك تعد غريبًا عن..

– وأجنبيًّا أيضًا.

– أجل، وهذا مما يجعل الأمر أيسر سبيلا. لقد بدا من حديث "**أدونيا**" أنها تعتقد أنك ربما كنت تعرف شيئًا عن هذا الشاب المدعو "**ديزموند لي ورتلي**".

وأطرق "**بوارو**" لحظة استعرض فيها كياسة السيد "**جيسموند**" وقدرته على استخدام السيدة "**موركومب**" لتنفيذ أغراضه. ثم انبرى قائلا:

– إنه لا يحظى بسمعة طيبة، كما سمعت عنه.

– حقًّا، إن سمعته جد سيئة..! غير أن هذا لن يفيد "**سارة**" في شيء، ولن يجدي نفعًا أن نردد على مسامع الفتيات شيئًا عن سوء سمعة الرجال.

– الحق معك. واستطردت السيدة "**لاسي**" قائلة:

– في أيام صباي كانوا يحذروننا من الشباب، وكان هذا يضاعف من اهتمامنا بهم، وكنا نتوق إلى مراقصتهم، أو الانفراد بهم. إنه حب الاستطلاع. وضحكت لمجرد الذكرى، ثم تطلعت إليه شاردة الذهن، فقال لها:

– خبريني بما يضايقك..

– لقد قتل ولدنا في الحرب.. ثم توفيت زوجة ابني حين ولادة "**سارة**"، الأمر الذي استتبع إقامتها معنا. ورعايتنا لها. وربما كنا غير موفقين في تنشئتنا لها. غير أننا كنا نعتقد أنه من الأفضل أن نطلق لها العنان..

– أعتقد أن هذا أفضل؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يعارض روح العصر.

– وهذا ما كنت أراه بالفعل.. وكان أن انطلقت "**سارة**" فيما تنطلق فيه غيرها من فتيات، ممن تسلكن سلوكًا شاذًا، فراحت ترتدي هذه الثياب المزرية وتلك الجوارب السوداء أو الخضراء الزاهية، وتنطلق بها بدون أن تغتسل، أو تمشط شعرها.

– طبقًا لأسلوب العصر.. هذا هو مسلك شباب اليوم.

– أجل، إنه مسلكهم جميعًا ولم ألق بالا لهذا الشذوذ في أول الأمر، إلى أن صادقت "**ديزموند لي ورتلي**" الذي تعرف عنه سمعته السيئة. وهو ممن يعولون في حياتهم على ما يبتزونه من الفتيات الثريات. وإن له تأثيرًا عميقًا في الفتيات اللاتي يفتتن به. ولقد كان على وشك الزواج بإحدى فتيات الأسر الكبيرة، لولا أن قومها أسرعوا إلى وضعها تحت الوصاية. وهذا هو عين ما يريد "**هوراس**" أن يفعله. وهو يقول إن هذا في مصلحتها، وإن كنت لا أقره على هذا الرأي. وذلك لأنني واثقة بأنهما سيرحلان معًا إلى "**اسكتلندا**" أو "**أيرلندا**" أو "**الأرجنتين**" أو أي بلد آخر حيث يعقد قرانهما أو لا يعقد، ويواصلان العيش معًا بوسيلة أو بأخرى. ومهما يكن من أمر ما يقال قانونًا، إلا أن العبرة بالنتائج الواقعية في مثل هذه الأحوال.. كأن تنتظر مولودًا. ولا يسعنا إزاء هذا، إلا أن نسلم بالأمر الواقع ونوافق على هذا الزواج. ثم– وهذا غالبًا ما يحدث– يكون الطلاق بعد عام أو عامين، وتعود الفتاة إلى منزلها حيث تتزوج بعد عام أو عامين، برجل رقيق الحاشية؛ لتستقر في حياتها غير أنه يعكر صفو هذه الحياة وجود مثل هذا الطفل الذي ينشأ في كنف والدته، مهما كان هذا الزوج وديعًا. وأعتقد أنه كان من الأفضل أن نتبع ما كنا نتبعه في أيام صبانا حين كنا نسلك سبيلا وسطًا في علاقتنا بشبان ذلك العصر. وأذكر أنني كنت ألتقي خلسة مع شاب يدعى "**تينيت**"؛ لأقضي معه

بضع ساعات بريئة. وكنت أستمتع بهذا اللقاء إلى أبعد حد، ثم كان أن باعدت الأيام بيننا. وجدت أنني حينما التقيت معه بعد أربعة عوام، أن تساءلت في دهشة عما كان يستحوذ على إعجابي به..! فلقد بدا لي شاباً يبعث في النفس السأم. فعقب "**بوارو**" باقتضاب قائلا:

– كثيراً ما يرى المرء في أيام الصبا أنها أحسن الأيام.

– أجل.. لست أريد أن أثقل عليك.. ومهما يكن من أمر، فإنني لا أريد لـ"**سارة**" أن تتزوج "**ديزموند لي ورتلي**". لقد كانت تتبادل الإعجاب مع "**دافيد ويلفين**" الذي يقيم هنا، وكنا نرجو أن يتم الزواج بينهما حينما يشبان عن الطوق، ولكنها أصبحت لا تميل إليه بعد أن سحرها "**ديزموند**".

– معذرة، يا سيدتي.. إنني عاجز عن الإحاطة بحقيقة الموقف.. أترى هذا المدعو "**ديزموند لي ورتلي**" يقيم في هذا القصر؟

– أجل.. وإنني المسؤولة عن ذلك.. لقد كان "**هوراس**" حريصًا على الحيلولة دون أي لقاء بينهما، سواء هنا أو في الخارج ولكنني قلت لـ"**هوراس**" إنني أخالفه في هذا الرأي، وإنه من الأفضل أن يدعو الشاب لقضاء عيد الميلاد مع أسرتنا. وكان بديهيا أن ينعتني زوجي بالجنون.. غير أنني ألححت عليه في ضرورة الأخذ بمشورتي، فندع لهما فرصة اللقاء في منزلنا وفي جونا، على أن نحسن معاملته، ونبالغ في إكرام وفادته فلعله يبدو في عينيها بأقل مما كان يبدو به في الخارج..!

– أرى وجهة نظرك تفوق وجهة نظر زوجك، لأكثر من سبب.. إنها لفكرة صائبة.

– أرجو أن يتحقق ذلك.. ولا يبدو إلى الآن، أنها ستؤتي ثمارها. غير أنه لم يمض على إقامته هنا سوى يومين.. السيد "**بوارو**" سأعترف لك بشيء مهم.. إنني أشعر بشيء من الإعجاب به.. ولست أعني بقولي هذا أنني معجبة به بالفعل، بل أشعر بأنني مسوقة إلى ذلك بفعل سحره، أجل، إنني أرى فيه ما تراه "**سارة**" منه. ولكني امرأة تقدمت بها السن، وتعددت تجاربها حتى يتيسر لي صحة الحكم عليه بأنه لا خير فيه، وهذا على الرغم من أنني كنت أستمتع بصحبته، وأرى منه بعض

نواح لا بأس بها . . ولقد سألني ما إذا كان من الممكن أن يصطحب شقيقته لقضاء عيد الميلاد هنا بعد نجاح تلك الجراحة التي أجريت لها بأحد المستشفيات . وأخذ على عاتقه أن يقوم على رعايتها في أثناء اعتكافها بغرفتها . ولعلك ترى معي أن هذه الرغبة كانت لفتة كريمة منه .

– إنها تدل على شفافية متناهية، لا تتفق مع ما عرف عنه .

– لست أدري لذلك تعليلا سوى أنه من الممكن أن يحدب الإنسان على أفراد أسرته، وفي الوقت نفسه لا يتورع عن الانقضاض على فتاة ثرية صغيرة . ولسوف تصبح "**سارة**" فتاة بالغة الثراء، لا بفضل ما سترثه عنا فحسب– لأن حفيدي "**كولين**" سيشاركها في ذلك– بل لأن والدتها كانت فاحشة الثراء وستؤول ثروتها إلى "**سارة**" فور بلوغها الحادية والعشرين من عمرها . إنها الآن لم تتجاوز بعد العشرين . . ومهما يكن من أمر تلك الجوانب الرقيقة التي تبدت في حنوه على شقيقته، إلا أنني لا أريده زوجًا لـ"**سارة**" .

– بناء على ما سمعته عنه أرى أن إتمام هذا الزواج يعد كارثة كبرى .

– هل تعتقد أنه من الممكن أن تساعدنا في هذا الأمر . . ؟

– أجل ممكن، وإن كنت لا أحب أن أسرف في وعودي؛ لأن أمثال السيد "**ديزموند لي ورتلي**" لا يشق لمهارتهم غبار، ومع ذلك فعلينا ألا نستسلم لليأس . وأعدك بأنني سأبذل أقصى ما في وسعي على الأقل جزاء وفاقًا لكرم وفادتك .

ثم تطلع فيما حوله واستطرد قائلا :

– لا أظن أنه كان من المتوقع أن يتاح لي قضاء العيد في قصر "منيف" كهذا .

فاقتربت السيدة "**لاسي**" بوجهها منه قائلة :

– السيد "**بوارو**" ، أو تعرف ما تتوق نفسي إليه . . ؟

– هلا حدثتني بذلك يا سيدتي . .

– إنني أتوق إلى فيللا صغيرة عصرية، زودت بكل وسائل الراحة والدعة . كوخ صغير خال من الدهاليز الطويلة، والقاعات الفسيحة، والأبهاء ذات الدرج العريض .

– هذا في الواقع ما يجب أن يكون .

– ولكن زوجي معجب بهذا القصر. وهو سعيد بإقامته فيه.

– بم يعني أنك تضحين بالكثير في سبيل تحقيق رغباته..؟ فاعتدلت السيدة "**لاسي**" في مقعدها قائلة:

– لست أرى في ذلك تضحية ما.. لقد تزوجت وأقسمت أن أسعد زوجي. ولقد كان لي خير زوج مما جعلني راغبة في العمل على توفير كل أسباب السعادة له.

– إذن، فسوف تواصلين إقامتك هنا..؟

– أجل. ولقد أنفقت الكثير في سبيل أن أجعل من هذا القصر مكاناً موفور الراحة لا ينقصه من المبتكرات الحديثة شيء.

– يخيل إليّ أنكم تلقون عناء كبيراً في توفير اليد العاملة بهذا القصر..؟

– ليس إلى الحد الذي تحسبه.. حقًّا إن الخدم بالمنازل أصبحوا مشكلة معقدة يحاول الجميع أن يجدوا لها حلا.. إننا نلجأ إلى كثيرات من القرية للقيام بمختلف الخدمات: اثنتان في الصباح، واثنتان لإعداد طعام الغداء. وأخريات في المساء، وثمة كثيرات ممن يرغبن في العمل لبضع ساعات ينصرفن بعدها. أما في المناسبات كمناسبة عيد الميلاد، فإننا نسعد بقدوم السيدة "**روس**" الطاهية الممتازة.. لقد اعتزلت العمل منذ حوالي عشر سنوات، ولكنها تسعدنا بقدومها في مثل هذه المناسبات. ثم هناك "**بيفيريل**".

– الساقي..؟

– أجل.. لقد اعتزل العمل هو الآخر، ويقيم في كوخه الصغير على مقربة منا، ولكنه يصر إخلاصاً منه على القدوم للقيام على خدمتنا في عيد الميلاد، على الرغم من تقدمه في السن. وطالما كنت أشفق عليه من تكبد هذا العناء، وإن كنت لا أجرؤ على إعفائه من الشراب؛ كي لا أجرح شعوره. ثم ابتسمت مستطردة:

– هذه هي مجموعتنا التي تتأهب لاستقبال عيد الميلاد. ونهضت تزيح ستائر النافذة لتعود قائلة:

– وسيكون عيد الميلاد أبيض سعيداً.. لقد بدأت الثلوج في التساقط.. ها قد

رأيت الأولاد قادمين.. يجب أن يتم التعارف بينكم الآن...

وقدمت إليهم السيد "**بوارو**" بما يليق به من احترام. قدمته أولا إلى "**كولين**" و"**مايكل**" الحفيد الطالب وصديقه، الصبيين الأسمر والأشقر غير المتجاوزين الخامسة عشرة من عمريهما. ثم إلى ابنة الأخ "**بريدجيت**" التي تفيض حيوية، السوداء الشعر، البالغة من العمر الخامسة عشرة أيضًا. وجاء دور "**سارة**"، فقالت السيدة "**لاسي**":

– وهذه هي حفيدتي "**سارة**".

وتأملها "**بوارو**" ليجدها فتاة ساحرة حمراء الشعر، وبدا له من مسلكها أنها عصبية المزاج، جريئة، وإن كانت قد أبدت خالص الود لجدتها. وواصلت السيدة "**لاسي**" عملية التعارف قائلة:

– وهذا هو السيد "**لي ورتلي**".

وكان السيد "**لي ورتلي**" يرتدي حلة أقرب ما تكون إلى ما يرتديه صائدو الأسماك، ذات بنطلون ضيق أسود اللون، وقد استطال شعر رأسه. وعلى النقيض من هذا الشاب كان الآخر الذي قدم إلى "**بوارو**" على أنه "**دافيد ويلفين**" هادئًا متماسكًا. يبتسم في رقة، وقد عني بنظافته إلى حد بعيد. ولم يبق من أعضاء الجماعة سوى الفتاة الأنيقة، "**ديانا ميدلتون**" التي كانت تبدو قوية الشكيمة. وحمل الشاي إلى المجتمعين وكان العميد "**لاسي**" آخر القادمين. وتناول الشاي من يد زوجته، والتقط قطعتين من الفطائر، ثم ألقى بنظرة إعراض إلى "**ديزموند لي ورتلي**" واتخذ له مقعداً بعيداً عنه. وكان "**لاسي**" رجلا طويل القامة، عريض المنكبين، كث الحاجبين، أحمر الوجه. وكان يبدو كمزارع أقرب منه إلى سيد هذا القصر. وانبرى قائلا:

– لقد بدأت الثلوج في التساقط.. سيكون عيد ميلاد أبيض.

وبعد الانتهاء من تناول الشاي، انصرف كل إلى شأنه. ورأى الصبيان و"**بريدجيت**" أن يتجهوا إلى البحيرة؛ ليتبينوا ما إذا كانت مياهها قد بلغت من التجمد حداً يتيح لهم الانزلاق فوقها. وقال "**كولين**" في ذلك:

– ظننت أنه كان من الممكن أن نمارس الانزلاق فوقها هذا الصباح. غير أن "**هودكينز**" العجوز عارض في ذلك مبالغة منه في الحذر كدأبه دائماً.

وعرضت "**ديانا ميدلتون**" على "**دافيد**" أن يقوما بجولة على الأقدام، وبعد أن تردد "**دافيد**" لحظة استقرت فيها عيناه على شعر "**سارة**" الأحمر، حيث كانت تقف إلى جانب "**ديزموند لي ورتلي**". وقد استقرت بيدها فوق ذراعه متأملة وجهه، قال:

– فليكن، هيا بنا. فأسرعت "**ديانا**" تتأبط ذراعه وتتجه به صوب باب الحديقة. ثم انبرت "**سارة**" قائلة:

– "**ديزموند**" هل نحذو حذوهما..؟ إن الجو هنا خانق.. فقال لها "**ديزموند**":

– ليست بي رغبة لمثل هذه الجولة.. سآتي بسيارتي؛ لنذهب إلى مقهى "**سبيكلدبور**" لنتناول مشروباً. وترددت "**سارة**" قبل أن تقول:

– فلنذهب إلى "**هوايت هارت**"، حيث نجد متعة أكثر.

وإنها وإن لم تفصح عن ذات نفسها إلا أن "**سارة**" كانت عازمة في قرارة نفسها، على عدم التردد على أماكن اللهو المحلية برفقة "**ديزموند**". إن سيدات قصر "**كنجز لاسي**" لم يسبق لإحداهن أن ترددت على مقهى "**سبيكلدبور**". إنها إن أقدمت على شيء من هذا القبيل، فسوف تسيء إلى العميد "**لاسي**" وزوجته "**إيما**" أيما إساءة. وإذا تراءى لـ"**ديزموند**" أن يتساءل عن السبب في اعتراضها على مقهى "**سبيكلدبور**"، فإنها ستواجهه بالحقيقة..! إنها لا تريد أن تغضب جديها ما لم يكن ثمة ما يدعو إلى ذلك. إنها لا تنسى شدة حدبهما عليها، وعدم معارضة رغباتها مهما بدت شاذة غير مألوفة. ألم يدعاها وشأنها حينما أرادت أن تقيم بـ"**شلسي**" في مسكن خاص بها..؟ إن الفضل في هذا يرجع إلى "**إيما**" جدتها بكل تأكيد. أما جدها، فما كان ليوافق على شيء من هذا القبيل.

لقد كانت تدرك تماماً حقيقة موقف جدها منها وحقيقة اتجاهاته بصفة عامة. فلم تكن دعوة "**ديزموند**" إلى قصر "**كنجز لاسي**" نتيجة لاقتراحه. إن الفضل في توجيه هذه الدعوة يرجع إلى "**إيما**" التي طالما غمرتها بحنانها ورقتها.

وبعد أن مضى "**ديزموند**" ليعود بسيارته. أطلت "**سارة**" من فرجة باب قاعة الاستقبال قائلة:

– سنتوجه إلى ماركت "**ليدبري**" لنتناول مشروبًا في "**هوايت هارت**". فقالت لها السيدة "**لاسي**" معقبة:

– هذا أفضل.. لقد ذهب "**دافيد**" و"**ديانا**" في جولة سيرًا على الأقدام. وإن هذا من دواعي سروري.. ولقد أحسنت صنعًا بدعوتي "**ديانا**" لقضاء العيد معنا. لقد ترملت في سن مبكرة.. إنها لم تتجاوز الثانية والعشرين من عمرها.. وإني لأرجو أن توفق إلى الزواج ثانية. فحدجت "**سارة**" جدتها بنظرة حادة قائلة:

– "**إيما**"، ماذا تخططين؟ فأجابتها السيدة "**لاسي**"، وقد انفرجت شفتاها عن ابتسامة عريضة:

– إنها خطتي المتواضعة.. وأعتقد أنها ستكون خير زوجة لـ"**دافيد**". بديهي أنني أدرك أنه كان مدلهًا في حبك، غير أنني أرى أنكما على طرفي نقيض ولست أريد له أن يشقى في حياته الزوجية ولذلك أرى أن "**ديانا**" خير من تناسبه.

– يا لك من مخططة بارعة..!

– هذا هو شأن كبار السن دائمًا.. ثم إن "**ديانا**" مغرمة به.. ألا ترين أنها هي الأخرى خير من يصلح له..؟

– لست من هذا الرأي.. إنهما لا يتفقان خلقًا وميولا.. ولا أظن إلا أن "**دافيد**" سوف يشعر بثقل وطأة هذا الزواج وضيقه به إذا ما تم بالفعل.

– حسنًا سوف نرى.. ومهما يكن من أمر. فإنك لا تريدينه زوجًا، أليس كذلك؟

– نعم، بكل تأكيد.. "**إيما**" ألا يعجبك "**ديزموند**"..؟

– بلى.. إنه رقيق الحاشية، جم الأدب..

– وما رأي جدي فيه..؟ لعله لا يميل إليه.

– هذا ما كان متوقعًا، وإن كنت أرجو أن يتغير شعوره مع الأيام. يجب ألا تتعجلي هذا التحول. إن كبار السن لا يغيرون آراءهم بسهولة، وبالذات بالنسبة

إلى جدك الذي أعرف عنه أنه عنيد.

– إن رأي جدي لا يعنيني في كثير أو قليل.. إنني سأتزوج "**ديزموند**" حينما يحلو لي.

– أدرك ذلك غير أنني أرجو أن تكوني أكثر واقعية وأقل اندفاعًا. إن بوسع جدك أن يسبب لك الكثير من المتاعب، كما تعرفين. إنك لم تبلغي بعد سن الرشد. وبعد عام يمكنك أن تفعلي ما تشائين، وخلال هذا العام سيكون "**هوراس**" قد لانت قناته. وألقت "**سارة**" بنفسها بين أحضان جدتها تطوقها بذراعيها قائلة:

– حسبي أنك تقفين إلى جانبي، أليس كذلك؟

– إنني لا أبغي سوى أن أراك سعيدة.. ها هو رجلك قد عاد بسيارته.. إن هذه السراويل الضيقة تعجبني، وإن كانت تبرز عيوب الساقين عند الركبتين.

وتبادر إلى ذهن "**سارة**" ما لم يدر بخلدها من قبل... إن بركبتي "**ديزموند**" بروزًا ملحوظًا.. وأردفت السيدة "**لاسي**" قائلة:

– هيا يا صغيرتي، ولتستمتعي بحياتك.

ووقفت تتابعها بنظراتها وهي في طريقها إلى السيارة، ثم اتجهت إلى المكتبة، حيث يجلس ضيفها الأجنبي. وأطلت من فرجة الباب لتجد "**هركيول بوارو**" مستمتعًا بإغفاءة قصيرة فابتسمت ومضت قدمًا عبر البهو إلى المطبخ لتجتمع مع السيدة "**روس**". وبادر "**ديزموند**" فتاته "**سارة**" قائلا:

– هلم بنا.. هل تعترض أسرتك على ذهابك إلى أحد المقاهي..؟ إنهم يعيشون هنا في الماضي، أليس كذلك؟

فاحتدت "**سارة**" قائلة وهي تستقل السيارة:

– نعم. ليس كذلك بكل تأكيد.

– ترى ما الداعي لدعوة هذا الرجل الأجنبي؟ إنه من رجال الشرطة السريين، أليس كذلك؟

– إنه لم يدع بحكم مهنته.. إن "**أدونيا موركومب**" هي التي سألتنا أن ندعوه.. وأعتقد أنه قد اعتزل العمل منذ فترة طويلة.

– إنه يبدو أشبه بجواد بلغ من العمر عتيًا.

– كان يريد، فيما علمت، أن يشهد عيد ميلاد إنجليزيا طبقًا للتقاليد القديمة.

فضحك "**ديزموند**" بازدراء.. ثم قال:

– هذه التقاليد البالية، كيف تطيقينها ؟ لست أدري. فقالت محتدة:

– إنني أستمتع بها..!

– لا.. هذا ما يخيل إليك.. فلنرحل باكرًا إلى "**سكاربورو**" أو أي مكان آخر؛ هربًا من كل ما يحيط بنا هنا.

– لا يمكن أن أفعل شيئًا من هذا القبيل..

– ولم لا؟

– إنني لا أريد أن أؤذي شعورهم.

– هراء..! ما هذا سوى مجرد مشاعر أطفال. فأرتج على "**سارة**".. إن الاحتفال بعيد الميلاد في هذا الجو العائلي يطيب لها أن تتوق إلى كل ما فيه.. وشعرت بأنها كانت تود لو لم يحضر "**ديزموند**" ليشاركهم هذا العيد.. بل إنها كانت تود لو لم يحضر "**ديزموند**" إلى منزلهم على الإطلاق.. إن "**ديزموند**" في "**لندن**" غيره في "**كنجز لاسي**".

وفي الوقت نفسه كان الصبيان و"**بريدجيت**" عائدين أدراجهم من البحيرة يستعرضون مشكلات الانزلاق ويناقشونها، وكانت السماء تبشر بمزيد من الثلوج المتساقطة. وعقب "**كولين**" قائلا:

– إن الثلوج ستواصل تساقطها طوال الليل.. وأؤكد لكم أن ارتفاع هذه الثلوج سيبلغ القدمين في صبيحة عيد الميلاد واقترح "**مايكل**":

– فلنقم تمثالا من الجليد لرجل.

– رباه.. إنني لم أقم هذا التمثال منذ.. منذ كنت في الرابعة. وانبرت "**بريدجيت**" قائلة:

– أعتقد أن صنع هذا التمثال ليس بالأمر اليسير.

– يمكن أن نجعل منه صورة للسيد "**بوارو**"، ونضيف إليه شاربًا أسود غزيرًا..

ثمة شارب في صندوق الزينة. وقال "**مايكل**" بروية:

– لا أصدق أن السيد "**بوارو**" كان شرطيًّا في يوم من الأيام. إذ لم يكن بوسعه أن يخفي شخصيته بحال ما.

فقالت "**بريدجيت**" مردفة:

– ولا يمكن أن يتصوره الإنسان حاملا منظاره المكبر بحثًا عن الأدلة ومتتبعًا لآثار الأقدام. وانبرى "**كولين**" قائلا:

– لقد طرأت على بالي فكرة.. فلنعد له تمثيلية. فتساءلت "**بريدجيت**":

– ماذا تعني على وجه التحديد؟

– ندبر حادث قتل له..

– يا لها من فكرة رائعة! هل تعني أن ندس له جثة بين الثلوج أو شيئًا من هذا القبيل؟

– أجل.. قد يرضيه هذا ويعيد إليه ثقته بنفسه. فضحكت "**بريدجيت**".. واستطرد "**كولين**":

– إذا ما واصلت الثلوج تساقطها، فهذا يعني أن المسرح معد لكل شيء. سوف نعد الجثة وآثار الأقدام.. علينا أن نحكم التدبير ولا نغفل شيئًا. ويمكننا أن نختلس أحد خناجر جدنا لافتعال بعض بقع من الدماء.

وتوقفوا عن السير مستغرقين في مناقشة مثيرة:

– يوجد صندوق طلاء في غرفة الدرس القديمة.. يمكننا أن ننتفع به في إعداد مزيج قرمزي. فعقبت "**بريدجيت**" قائلة:

– على أن يراعى إتقان المزيج حتى يطابق في لونه لون الدماء السائلة. وتساءل "**مايكل**":

– ومن يا ترى سيكون الجثة؟ فأسرعت "**بريدجيت**" تجيب:

– أنا؟ فقال "**كولين**":

– لا.. مهلا.. لقد استعرضت ذلك في ذهني. فقالت "**بريدجيت**":

– لا.. يجب أن أقوم بذلك.. إذ يجب أن تكون الجثة لفتاة.. فتاة جميلة ترقد

مسجاة بين الثلوج إنه لأمر مثير.. علاوة على أن شعري أسود اللون يمكن أن يتألق بين الثلوج، ولسوف أرتدي بيجامتي الحمراء. فاعترض "**مايكل**" بقوله:

– إن بقع الدماء لن تبدو جلية فوق بيجامة حمراء.

– إنها مزينة بالأبيض حتى يمكن أن تنتشر فوقه بقع الدماء.. ترى هل سينخدع بكل هذا؟

– أجل.. على أن نتقن إخراج المشهد.. سنترك آثار أقدام أخرى متجهة إلى الجثة ثم عائدة أدراجها.. آثار أقدام رجل، بداهة ورغبة منه في عدم إفساد آثار الأقدام فإنه لن يقترب من الجثة حتى يمكنه أن يتبين حقيقة أمرك. ألم يتبادر إلى أذهانكم أنه قد يغضب بعد أن يكتشف حقيقة الأمر..؟ فقالت "**بريدجيت**" متفائلة:

– لست أعتقد هذا. إنه سوف يفسر ما حدث على أنه احتفاء به وتكريم له. ملهاة من عبث عيد الميلاد. فانبرى "**كولين**" قائلا:

– أرى ألا نفعل ذلك في يوم عيد الميلاد.. إن جدي لن يوافق على شيء من هذا القبيل، أو يتسامح فيه.

– فليكن المشهد في اليوم التالي.

– هذا هو عين الصواب.

– وسيكون لدينا متسع من الوقت لإعداد كل شيء وحسن تدبيره. وأسرعوا يدلفون إلى القصر.

- 3 -

كان مساء انصرف الجميع فيه إلى إعداد شجرة عيد الميلاد وتزيينها.. وعقب "**ديزموند**" على ما كان يجري من حوله متهكما:

– لم يدر بخلدي أن هذه التقاليد البالية مازالت تجد لها مكانًا في عصرنا هذا. فقالت له "**سارة**":

– إننا لم ننقطع عن إحيائها.. "**ديزموند**" أرجو أن تكف عن ترديد هذه اللهجة

الساخرة.. إننا نجد فيما نفعل كل المتعة. وتساءلت السيدة "**لاسي**" حينما اقتربت عقارب الساعة من منتصف الليل:

– ترى من سيجرؤ على اقتحام الثلوج لحضور قداس نصف الليل..؟ فقال "**ديزموند**":

– لن أكون هذا الرجل.. "**سارة**" هيا بنا. ثم أمسك بذراعها واتجه بها إلى المكتبة حيث اجتازها إلى جهاز التسجيل قائلا:

– ثمة حدود لكل شيء.. قداس نصف الليل.

ودوت الضحكات وتأهب الآخرون لمغادرة القصر وانطلق الصبيان، و"**بريدجيت**"، و"**دافيد**"، و"**ديانا**" إلى الكنيسة تحت وابل من الثلوج المتساقطة. وبعد أن خفتت أصوات ضحكاتهم، قال العميد "**لاسي**":

– قداس نصف الليل.. لم يسبق لي أن اشتركت فيه أيام صباي.. إنه تقليد بابوي.. معذرة السيد "**بوارو**".. وبحركة من يد "**بوارو**" قال:

– لا تلق بالا إليّ.

– إن في صلاة الصباح الكفاية.. صلاة النهار بكل ترانيمها المحببة القديمة.. ثم العودة منها إلى مأدبة عيد الميلاد.. ألا تتفقين معي؟

– بلى.. وهذا هو ما دأبنا عليه.. غير أن الشباب يستمتع بطقوس نصف الليل، وإنه لمن دواعي سروري أن ألمس منهم ذلك.

– إن "**سارة**" وصديقها لا يرغبان في حضور الصلاة.

– لقد أخطأت في حكمك هذا.. إن "**سارة**" كانت تريد الذهاب، غير أنها لم ترد أن تفصح عن رغبتها.

– لعمري.. فيم كل هذا الاهتمام بآراء ذلك الفتى؟

– لأنها لم تشب عن الطوق بعد.. السيد "**بوارو**" هل ستأوي إلى فراشك؟ أرجو لك نوماً هنيئاً.

– وأنت يا سيدتي..؟ ألن تأوي إلى فراشك؟

– ليس بعد.. يجب أن أملأ الجوارب.. وعلى الرغم من أنهم لم يعودوا بعد

أطفالا إلا أن هذه مفاجأة..

– أحييك يا سيدتي.. إنك تبذلين جهداً مضنيًا لتضفي على هذا البيت السعادة في عيد الميلاد.

وأمسك بيدها يطبع قبلة تقليدية.. وعقب العميد "**لاسي**" على ذلك بقوله، بعد انصراف "**بوارو**":

– يا له من رجل! إنه مازال يرى فيك أنك أهل لكل تقدير.

دلف "**هركيول بوارو**" إلى غرفة نومه.. وكانت غرفة فسيحة مزودة بأجهزة التدفئة.. واجتاز الغرفة إلى فراشه، حيث وقعت عيناه على مظروف ملقى به فوق وسادته. وفض المظروف ليخرج منه قصاصة من الورق قد دون بها بأحرف كبيرة:

«لا تأكل شيئًا من فطيرة البرقوق»

الإمضاء
ناصح يريد بك خيراً

وحملق "**هركيول بوارو**" فيما بين يديه.. ورفع حاجبيه متمتماً «فعل تسللي غير متوقع».

- 4 -

كانت وليمة عيد الميلاد التي أقيمت في تمام الساعة الثانية مساء، وليمة بحق، ولم تخل المائدة من كل ما تشتهيه النفس، وتحلم به. وبعد أن أتى الجالسون إلى المائدة على كل ما قدم إليهم، حلت اللحظة الكبرى لحظة تقديم فطيرة عيد الميلاد! وأصر "**بيفيريل**" الشيخ على ألا يحملها أحد سواه، فأقبل بها مهتز اليدين والساقين بكل ما ينوء من ضعف الثمانين عاماً، ومن حمله الثقيل. وكانت السيدة "**لاسي**" تجلس، ضامة يديها في عصبية تتفق مع ما يجول في خاطرها. إن "**بيفيريل**" لا محالة سوف يسقط ميتًا في يوم من أيام عيد الميلاد. وكانت تجد نفسها بين المخاطرة بهذا الاحتمال وإيذاء شعوره، وكانت تدرك أنه يفضل الموت

على حياة يعفى فيها من إثبات وجوده، فكان أن اختارت البديل الأول؛ إرضاء له. واستقبل الجميع الفطيرة الكبيرة المحمولة إليهم فوق صحن فضي. بما يليق بها من ابتهاج وصياح.

وأومأت السيدة "**لاسي**" إلى "**بيفيريل**" أن يضع الفطيرة أمامها لتقوم بتوزيعها بدلا من أن يطوف بها حول المائدة. وتنفست الصعداء فور أن استقرت الفطيرة في سلام أمامها، وسرعان ما امتدت الأيدي بالصحون تتلقى نصيبها، ولما تزل ألسنة اللهب عالقة بها، وصاحت "**بريدجيت**":

– السيد "**بوارو**" فلتسرع بترديد أمانيك قبل انطفاء النيران.

واسترخت السيدة "**لاسي**" في مقعدها راضية النفس؛ لأن عملية توزيع الفطيرة قد تمت بنجاح، وأصبح أمام كل شخص نصيبه تلفحه ألسنة اللهب، وران الصمت على الجميع لحظة استغرق كل فرد في أمانيه. ولم يتبين أحد من الجالسين إلى المائدة ما اختلج به وجه السيد "**بوارو**" من أحاسيس وهو يمعن النظر في قطعة الفطير التي أمامه. فقد كان يردد في خاطره صيغة التحذير الذي وجده فوق الوسادة: «لا تأكل شيئًا من فطيرة البرقوق».. ترى ماذا يعني هذا التحذير بحق السماء..؟ فلا يمكن بحال ما أن يختلف نصيبه من فطيرة البرقوق عن نصيب غيره من الجالسين إلى المائدة..! واستقر رأيه أخيرًا على التقاط ملعقته وشوكته.. وسمع السيدة "**لاسي**" تقول له:

– السيد "**بوارو**" هل لك في قليل من الشراب..؟ ورحب "**بوارو**" بالاقتراح الذي صادف قبولا لديه.. وسمع العميد يقول ضاحكًا من طرف المائدة المواجه للسيدة "**لاسي**":

– أتراكم قد سطوتم على شرابي المفضل..؟ فأجابته السيدة "**لاسي**":

– لقد أصرت السيدة "**روس**" على أن يكون الشراب من أجود الأنواع. وقالت إن هذا يغير من مذاق الفطيرة.

– حسنًا، حسنًا.. إنه عيد ميلاد واحد في السنة.. والسيدة "**روس**" طاهية عظيمة. وأردف "**كولين**" قائلا:

– وإنها لكذلك بالفعل. وأطبق على فطيرته يلتهمها.. وحذا "**هركيول بوارو**" حذوه. وسمع رنينًا معدنيًا في صحنه.. وراح يتحرى أمره بشوكته.. وقالت له "**بريدجيت**" التي كانت تجلس عن يساره:

– لقد عثرت على شيء في صحنك يا سيد "**بوارو**".. ترى ما هو..؟

واستخلص "**بوارو**" قطعة نقود صغيرة من بين حبات الزبيب التي كانت عالقة بها.. فقالت "**بريدجيت**":

– إنه زر العزب..! لقد حصل السيد "**بوارو**" على زر العزب..!

وقام "**هركيول بوارو**" بتنظيف القطعة الذهبية مما علق بها من فتات الحلوى، ثم تأملها قائلا:

– رائعة. فانبرى "**كولين**" موضحًا:

– هذا يعني أنه مقدر لك أن تكون عزبًا. فقال "**بوارو**" في أسى:

– هذا ما يجب أن يتوقع.. إني عزب منذ عدة أعوام طويلة، ومن المستبعد أن يطرأ أي تغيير على وضعي الراهن.

وقال "**مايكل**":

– لا يأس مع الحياة.. لقد قرأت بالصحف أن رجلا في الخامسة والتسعين تزوج فتاة في الثانية والعشرين. فقال له "**بوارو**":

– أتراك باعثًا في نفسي الأمل ؟

وحينئذ صدر عن العميد "**لاسي**" صوت المتألم وقد احتقن وجهه، وهو يرفع يده إلى فمه مزمجرًا.

– اللعنة، "**إيما**".. لماذا تدعين الطاهية تدس قطعًا من الزجاج في الفطيرة؟ فصاحت السيدة "**لاسي**" في دهشة:

– زجاج..! وأخرج العميد "**لاسي**" قطعة الزجاج من فمه قائلا:

– كان من المحتمل أن تتسبب هذه في الإضرار بأسناني أو.. في حالة ابتلاعها في إصابتي بالزائدة الدودية.

وبعد أن قام بتنظيف قطعة الزجاج مما علق بها. رفعها بين أصابعه قائلا:

– رباه.. إنها حجر أحمر من تلك الأحجار التي ترصع بها الدبابيس.

– هل تسمح لي..؟

ومد السيد "**بوارو**" يده عبر جاره؛ ليتناول الحجر من العميد "**لاسي**" وراح يتأمله فاحصًا، ليجده كما قال رب البيت حجرًا أحمر كبير الحجم في لون الياقوت. وفي مكان ما من المائدة سمع حركة مقعد يدفع إلى الخلف بقوة ثم يعاد إلى وضعه ثانية.. وصاح "**مايكل**":

– رباه.. ماذا لو اتضح أنها حجر كريم..؟ وعقبت "**بريدجيت**" قائلة:

– ربما كانت كذلك..! ولم لا..؟

– "**بريدجيت**"..! يجب ألا يبلغ بك الحمق هذا الحد.. إن ياقوتة في مثل هذا الحجم يجب أن تساوي عدة آلاف من الجنيهات.. أليس كذلك يا سيد "**بوارو**"..؟

– بلى، إنها تساوي الكثير. وانبرت السيدة "**لاسي**" متسائلة:

– ولكنني لا أستطيع تصور الكيفية التي وجدت بها في الفطيرة. وهنا تحول مجرى الحديث بقول "**كولين**" وقد امتلأ فمه ببقايا فطيرته:

– رباه..! لقد كان اللحم من نصيبي.. ليس هذا من الإنصاف في شيء. وراحت "**بريدجيت**" تردد متندرة:

– كان اللحم من نصيب "**كولين**"..! كان اللحم من نصيب "**كولين**"..! وهتفت "**ديانا**" تقول بصوت مرتفع:

– لقد حصلت على الخاتم.

– هذا فأل حسن.. إنك أول من ستتزوج من زمرتنا. وولولت "**بريدجيت**" قائلة:

– أما أنا، فقد كان قمع الحياكة من نصيبي. وأردف الصبيان يقولان:

– وسوف تصبح "**بريدجيت**" عانسًا.. سوف تصبح "**بريدجيت**" عانسًا. وتساءل "**دافيد**":

– من كان من نصيبه النقود..؟ إن في هذه الفطيرة قطعة ذهبية قيمتها عشرة

شلنات.. لقد علمت بهذا من السيدة "**روس**". فصاح "**ديزموند لي ورتلي**" قائلا:

– أعتقد أنني السعيد الحظ الذي كانت من نصيبه. وسمع الجالسان عن يمين العميد "**لاسي**" وعن يساره صوته متمتماً:

– هذا بدهي..! وإنك لسعيد الحظ حقًّا. وقال "**دافيد**"، وهو يتطلع إلى خاتم عبر المائدة إلى حيث تجلس "**ديانا**":

– لقد حصلت بدوري على خاتم آخر. يا لها من مصادفة! أليس كذلك؟

واستغرق الجميع في الضحك.. ولم يشاهد أحد من الحضور السيد "**بوارو**"، وهو يسقط الحجر الأحمر في جيبه عفواً، وكأنه مستغرق في التفكير. وتوالت أنواع الحلوى بعد فطيرة عيد الميلاد.. وانسحب كبار السن؛ لينالوا قسطهم من الراحة قبل ساعة تناول الشاي والاحتفال بإضاءة شجرة عيد الميلاد. أما "**هركيول بوارو**"، فقد تخلف عن ركب كبار السن، واتجه صوب المطبخ الفسيح.. وبادر الطاهية قائلا:

– أعتقد أنه لا ضير من أن أتقدم بتهنئتي إلى الطاهية التي استمتعت بما قدمته يداها..؟

وبعد لحظة تردد تقدمت السيدة "**روس**" منه في خطى ثابتة. وكانت امرأة فارعة الطول، نبيلة الملامح، تحيط بها هالة من الوقار وهي تتقدم منه في جلال دوقات المسرح.. وكانت تبدو بين مساعداتها الأخريات، كملكة بين رعيتها.. واستقبلته قائلة:

– يسرني أن أسمع منك هذا الإطراء يا سيدي.

– إنني مهما أطريت طعامك، فلن أوفيك حقك من الشكر. السيدة "**روس**" إنك النبوغ بعينه..! بل إنني لم يسبق لي أن استمتعت بمثل هذه الألوان. السيدة "**روس**" لقد تفوقت على الجميع.. وتفوقت على نفسك بفطيرة البرقوق. إنها من صنع يديك، أليس كذلك؟

– بلى يا سيدي.. من صنع يدي ومن صياغتي طهواً.. إن فطائر عيد الميلاد

متعددة الألوان، متغايرة الأساليب، ويستحسن أن تعد فطيرة العيد قبل تقديمها بعد أيام، وقد أعددت فطيرة اليوم قبل وصولك بثلاثة أيام، حرصت على الالتزام بالعادات القديمة، كما هو دأبي، وأتحت الفرصة لكل من يقيم بالقصر أن يوجد في المطبخ، ويدعو السماء بما يريد ويتمنى.

– وهكذا أقبل الجميع عليك بالمطبخ..؟

– أجل، يا سيدي. الصبيان، والآنسة "**بريدجيت**"، والسيد القادم من "**لندن**"، وشقيقته، والسيد "**دافيد**"، والآنسة "**ديانا**" أعني السيدة "**ميدلتون**" بتسمية أصح.. وقد استمتع الجميع بلحظاتهم.

– كم فطيرة قمت بصنعها..؟ وهل كانت هذه هي الفطيرة الوحيدة..؟

– لا يا سيدي.. لقد صنعت أربع فطائر.. اثنتين كبيرتي الحجم، واثنتين أصغر منهما حجمًا.. والفطيرة الكبيرة الأخرى، احتفظت بها لمأدبة رأس السنة، والفطيرتان الصغيرتان أعدتا للعميد وللسيدة "**لاسي**". وفي الواقع يا سيدي، لقد كانت فطيرة اليوم هي الفطيرة المعدة لمأدبة رأس السنة، ونتيجة لما حدث من سقوط فطيرة عيد الميلاد على الأرض مما ترتب عليه عدم صلاحيتها، وقدمت إليكم الفطيرة الأخرى التي كانت معدة لرأس السنة.

– لقد استمتعت بكل شيء، وأعادتني فطيرتك إلى الأيام الخوالي.

– هذا من دواعي سروري.. ومهما يكن من أمر فالأيام لم تعد بالحال الذي كانت عليه.

– أجل، إن الزمن يتغير.. وهذا ما يسبب لي الشعور بالأسى أحيانًا.

– إن هذا القصر يا سيدي كبير مترامي الأطراف.. ولا يقيم به سوى العميد والسيدة.. وتدرك السيدة هذه الحقيقة. وهما لا يتخذان من جميع قاعاته وأبهائه سكنًا لهما، بل يقنعان بركن منه. ولا تدب الحياة في جميع أركان القصر سوى في أيام الأعياد.

– أعتقد أن هذه هي المرة الأولى التي يزور فيها السيد "**لي ورتلي**" وشقيقته هذا القصر؟ فأجابته السيدة "**روس**" وفي صوتها نبرة تحفظ:

– أجل يا سيدي.. إنه سيد متناهي الرقة، وإن بدا لنا أنه ليس بالصديق المرتجى للآنسة "**سارة**".. غير أن لـ"**لندن**" أساليب حياتها المختلفة..! ومن المؤسف أن تسوء حال شقيقته، يقول إنه سبق أن أجريت لها جراحة، وإنها تماثلت للشفاء، كما بدت في أول يوم عقب قدومها. غير أن حالتها انتكست في هذا اليوم بالذات، مما استتبع ملازمتها الفراش بعد ذلك. وأعتقد أن هذا يرجع إلى تعجيلها بمغادرة الفراش عقب إجراء الجراحة. وهذا هو شأن أطباء اليوم؛ لكي يفسحوا مكانًا لمرضى جدد.

وواصلت السيدة "**روس**" حديثها في المقارنة بين الماضي والحاضر واستمع لها "**بوارو**" في أناة وصبر إلى أن فرغت من حديثها، ثم قال لها:

– يبقى أن أشكرك على هذا الطعام الرائع الشهي.. وأرجو أن تأذني لي بالتعبير المتواضع عن خالص تقديري.

وبحركة سريعة أخرج من جيبه ورقة نقدية من فئة خمسة الجنيهات أودعها يد السيدة "**روس**" التي تمنعت قائلة:

– لا يا سيدي، لا.

– أرجوك أن تقبلي هذا المبلغ الصغير أرجوك.

– فليكن ما تريد يا سيدي. وإني أرجو لك عيد ميلاد سعيداً، وعامًا جديداً موفقًا.

- 5 -

لم يختلف الجزء الأخير من يوم عيد الميلاد عن غيره من أعياد أخرى. فقد أضيئت الشجرة، وقدمت كعكة عيد الميلاد مع الشاي، ثم دعي الحاضرون فيما بعد إلى عشاء خفيف. وأوى كل من "**بوارو**" ومضيفته ومضيفه إلى الفراش مبكرين وحيته السيدة "**لاسي**" قائلة:

– طابت ليلتك يا سيد "**بوارو**". أرجو أن تكون قد استمتعت بيومك.

– كل الاستمتاع يا سيدتي.. لقد كان يومًا رائعًا.

– إنك تبدو شارد الذهن.

– إنها الفطيرة الإنجليزية التي تشغل بالي.

– أتراها كانت عسرة الهضم..؟

– لا، لا، لست أعني هذه الناحية.

– إنها فطيرة تقليدية.. حسنًا طابت ليلتك، وأرجو ألا تملأ أحلامك فطائر عيد الميلاد.

وردد "**بوارو**" بينه وبين نفسه بينما كان يخلع ثيابه: أجل، إنها لمشكلة حقًّا، فطيرة البرقوق هذه. إن هناك شيئًا ما لا أستطيع إدراكه، ولا أتبين له كنهًا.. حسنًا.. سوف نرى.

وبعد القيام ببعض الإعدادات أوى "**بوارو**" إلى فراشه، ولكنه لم يخلد إلى النوم. وبعد ساعتين أثمر صبره.. إذ فتح باب غرفة نومه برفق.. وابتسم راضيًا؛ لأن هذا هو ما كان يتوقعه على وجه التحديد، واستعاد في ذهنه تلك اللحظة التي امتدت فيها يد "**ديزموند لي ورتلي**" بقدح القهوة إليه. وما كان منه، بعد قليل حينما ولاه "**ديزموند**" ظهره، إلا أن وضع الفنجان فوق المنضدة لبضع لحظات.

ثم عاد يلتقطه ثانية، متحريًا أن يراه "**ديزموند**" وهو يلقي بمحتوياته في جوفه لآخر قطرة. وابتسم "**بوارو**" وهو يستعيد في ذهنه أن غيره هو الذي يغط الآن في نومه هذه الليلة. وحدث نفسه قائلا: لن يضير "**دافيد**" أن يستغرق في النوم فيستريح قليلا من قلقه ومن تعاسته.

– والآن، لنر ماذا عساه أن يحدث؟

كان مستلقيًا في صمت وسكون، متظاهرًا بالاستغراق في النوم، وشعر بمن يقترب من فراشه ويتفرس في وجهه، ثم استدار القادم مبتعداً عن الفراش في اتجاه منضدة الزينة، حيث راح يفحص حاجات "**بوارو**" الموضوعة فوق المنضدة، بمساعدة مصباح كهربائي صغير. وانتقل البحث إلى أدراج المنضدة ومنه إلى الثياب، وأخيرًا عاد القادم ليقترب من الفراش، ودس يده في حذر شديد تحت الوسادة وبعد أن سحب يده، وقف لحظة أو لحظتين وهو في حيرة من أمره. ثم

واصل بحثه في الغرفة وفي الحمام، قبل أن يغادر الغرفة ساخطًا. وهمس "**بوارو**" بعد انصراف القادم قائلا:

– لقد خاب ظنك.. أو كان يخيل إليك أن "**هركيول بوارو**" يخفي شيئًا حيث يمكن أن تجده..!

ثم استسلم لنوم هادئ عميق. وصحا في صباح اليوم التالي على صوت من يطرق بابه برفق:

– من بالباب..؟ ادخل. ادخل. وفتح الباب ليخطو عبره "**كولين**" لاهث الأنفاس، ومن خلفه "**مايكل**".

– السيد "**بوارو**".. السيد "**بوارو**".. فنهض "**بوارو**" جالسًا في فراشه، وهو يقول:

– ماذا جرى؟

ووقف "**كولين**" لحظة بدون أن ينطق بشيء.. وبدا أنه كان تحت تأثير مشاعر عنيفة.. وفي الواقع وحقيقة الأمر، أن رؤيته للقلنسوة التي يرتديها "**هركيول بوارو**" هي التي ألجمت لسانه.. وسرعان ما استعاد رباطة جأشه وتحدث قائلا:

– السيد "**بوارو**"، هل تستطيع مساعدتنا..؟ لقد وقع حادث مفزع.

– ماذا حدث؟

– إنها.. إنها "**بريدجيت**".. إنها ملقاة هناك بين الثلوج، إنها مستلقية بدون حراك.. يحسن بك أن ترى بنفسك. إنني أخشى أن تكون قد لقيت حتفها. فقال "**بوارو**"، وهو ينحي أغطية الفراش جانبًا:

– ماذا تقول؟ الآنسة "**بريدجيت**".. جثة هامدة..!

– أعتقد.. أعتقد أنها قتلت.. لقد شاهدنا بقعًا من الدماء.. أرجوك أن ترى بنفسك.. هيا بنا!

– بكل تأكيد.. بكل تأكيد. وأسرع "**بوارو**" يرتدي معطفًا من الفراء فوق بيجامته، وينتعل حذاءه:

– هيا بنا.. أتراك أيقظت من بالمنزل..؟

– لا . . إنني لم أحط أحداً علماً بالأمر سواك اعتقاداً مني بأن هذا أفضل. ولم يستيقظ بعد جدي وجدتي. ويعد الخدم طعام الإفطار بالطابق الأرضي، ولكنني لم أتحدث بشيء إلى "**بيفيريل**" إنها– أي "**بريدجيت**" – موجودة في الناحية الأخرى من القصر على مقربة من الشرفة ونافذة المكتبة.

– فلتتقدمني وسأتبعك. وأشاح "**كولين**" بوجهه عنه؛ ليخفي ابتسامته، وتقدمه هابطًا الدرج، وانطلقا من المنزل عبر الباب الجانبي وكانت السماء صافية، ولم ترتفع الشمس بعد عن الأفق، وكانت الثلوج قد توقفت عن التساقط بعد أن توالى تساقطها طوال الليل، فاكتست الأرض ببساط سميك من الجليد. وكان صباحًا جميلا، نقيًا، ناصع البياض.

وقال "**كولين**" وهو لاهث الأنفاس:

– هناك . . ! أجل هناك.

وكان المشهد مؤسفًا حقًا. فعلى بعد بضع ياردات كانت "**بريدجيت**" ملقاة بين الثلوج، وكانت ترتدي بيجامة حمراء، وتضع فوق كتفيها وشاحًا أبيض لطخ ببقع من الدماء. وكانت متجهة بوجهها إلى الناحية الأخرى، وقد اختفى رأسها تحت كتلة شعرها الأسود. وفي وسط بقعة الدماء بدت قبضة المدية الكبيرة التي عرضها العميد "**لاسي**" على ضيوفه بالأمس فقط . . وصاح "**بوارو**" قائلا:

– رباه . . ! وكأنني أمام أحد المسارح! وصدر عن "**مايكل**" صوت أشبه ما يكون بالحشرجة . . وأسرع "**كولين**" يتدارك الموقف بقوله:

– هذا ما يبدو بالفعل. هل ترى آثار الأقدام هذه . . المفروض ألا نقترب منها؟

– أجل هذه الآثار يجب ألا نعبث بها. فقال "**كولين**" مؤكداً:

– هذا هو ما تراءى لي وهذا هو السبب في حرصي على ألا يقترب منها أحد قبلك؛ لأنك تعرف ما يجب أن يتبع. فعقب "**بوارو**" باقتضاب:

– أولا، يجب أن نرى ما إذا كانت لم تزل على قيد الحياة . . ؟ فقال "**مايكل**" مترددًا:

– أجل بكل تأكيد . . غير أننا رأينا . . أعني أنني لم أشأ.

– هكذا يكون الحزم . . ! لقد اطلعتما على القصص البوليسية . . إنه لمن الأهمية بمكان ألا يعبث أحد بشيء في مكان الجريمة، وأن تترك الجثة كما عثر عليها . غير أننا لم نستوثق بعد مما إذا كان ما نراه جثة بحق . . ومهما يكن من أمر ما يقال عن وجود التحلي بالحزم، فإن الإنسانية تأتي في المكان الأول وعلينا أن نستدعي الطبيب قبل أن نستدعي رجال الشرطة، أليس كذلك؟ فقال "**كولين**" وقد أرتج عليه :

– بلى، بلى بكل تأكيد . وأردف "**مايكل**" قائلا :

– لقد رأينا أنه من الخير أن نتصل بك أولا، قبل أن نخطو خطوة أخرى .

– عليكما البقاء حيث أنتما . . وسوف أقترب من الجثة من الجانب الآخر؛ لكي لا أفسد آثار الأقدام . . إنها آثار أقدام واضحة جلية، تستوجب المحافظة عليها . إنها آثار أقدام رجل وفتاة كانا في طريقهما إلى حيث وجدت الجثة . ثم هذه هي آثار الرجل يعود أدراجه، أما الفتاة . . فلم تعد معه . وأسرع "**كولين**" يقول :

– لابد أنها آثار أقدام القاتل . فأمن "**بوارو**" على قوله قائلا :

– تماماً . . آثار أقدام القاتل . . إنها آثار قدم مستطيلة ينتعل صاحبها حذاء يسهل تعرفه من خلاله . . إنها آثار بالغة الأهمية .

وحينئذ أقبل كل من "**ديزموند**" و"**سارة**" وانضما إليهم، وقال "**ديزموند**" في لهجة مسرحية :

– ماذا تفعلون هنا . .؟ لقد رأيتكم من نافذة غرفتي . ماذا حدث؟ رباه، ما هذا . .؟ إن الأمر يبدو . . فأجابه "**هركيول بوارو**" :

– تماماً . . إن الأمر يبدو كجريمة قتل، أليس كذلك؟

ووضعت "**سارة**" يدها على فمها تكتم صرخة، ثم ألقت نظرة شك إلى الصبيين . . وتساءل "**ديزموند**" :

– تعني أن الفتاة قتلت . . ما اسمها . . "**بريدجيت**" . . من ذا الذي يريد لها الموت . .؟ إن هذا الأمر مستبعد . . ! فقال له "**بوارو**" :

– ثمة الكثير مما يستبعده الإنسان، وبالذات قبل الإفطار على حد قول أمثالكم

القديمة.. أرجوكم جميعًا أن تنتظروا هنا.

وقام بدوره، ليقترب من "**بريدجيت**" من الجانب الآخر وراح يتأمل الجثة عن كثب. وكان كل من "**كولين**" و"**مايكل**" يجاهدان ليكتما ضحكة تريد أن تنطلق، واقتربت "**سارة**" منهما قائلة:

– ترى، ماذا فعلتما..؟ وهمس "**كولين**" قائلا:

– "**بريدجيت**" البارعة..! أليست رائعة..؟ لقد حرصت على ألا تصدر عنها حركة ما..! وعقب "**مايكل**" بقوله:

– لم يسبق لي أن رأيت جثة هامدة كما تبدو "**بريدجيت**". واعتدل "**هركيول بوارو**" واقفًا وهو يقول:

– يا للحادث المروع..! وانبرى "**مايكل**" متسائلا:

– ماذا.. ماذا يجب أن نفعل..؟ فأجابه "**بوارو**":

– ليس ثمة ما يجب أن تفعله سوى أن تبعث في طلب الشرطة. هل يقوم أحد منكم بذلك، أم أتولى بنفسي هذا العمل..؟ فقال "**كولين**":

– أرى، أرى.. ماذا ترى يا "**مايكل**"؟ فقال "**مايكل**" وهو يخطو إلى الأمام:

– أرى أن اللعبة قد انتهت.. إنني جد آسف.. وأرجو أن تغفروا لنا. لقد فعلنا ذلك من باب اللهو والعبث لمناسبة عيد الميلاد.. ورأينا أن نقوم بتمثيل حادث قتل نخدع به السيد "**بوارو**".

– هذا ما تراءى لكم؟ إذن فهذا.. فقال "**كولين**" موضحًا:

– مجرد مشهد أعددناه إرضاء لك.

– هكذا.. إنكم تجعلون مني ضحية لكذبة نيسان (أبريل)..؟ ولكن اليوم ليس بأول إبريل، إنه السادس والعشرون من كانون الأول (ديسمبر).

– أعتقد أنه ما كان ينبغي لنا الإقدام على ذلك.. ولكنك ستغفر لنا ما أقدمنا عليه.. "**بريدجيت**" هيا انهضي، قبل أن تتجمدي من شدة البرد.

غير أن الفتاة لم تتحرك.. وعقب "**هركيول بوارو**" بقوله:

– عجبًا.. لا يبدو أنها سمعت النداء.. هل قلتما إنه مزاح..؟ أتراكما واثقين

بذلك..؟

فقال "**كولين**"، وقد استبد به القلق:

– أجل.. إننا لم نستهدف الإضرار بأحد.

– إذن، فلماذا لم تنهض الآنسة "**بريدجيت**"؟

– لست أدري.. فقالت "**سارة**" في صبر نافد:

– "**بريدجيت**" هلا نهضت ووضعت حداً لهذا الهذر. وأردف "**كولين**" معتذراً:

– السيد "**بوارو**" إنني جد آسف.. إننا نعتذر عن هذا الإزعاج.

– ليست بك حاجة إلى الاعتذار.

– ماذا تعني..؟ "**بريدجيت**"..! "**بريدجيت**"..! ماذا جرى.. لماذا لم تستجب للنداء..؟ لماذا لم تنهض؟

وأومأ "**بوارو**" إلى "**ديزموند**" قائلا:

– أنت السيد "**لي**".. "**لي ورتلي**" اقترب مني.. فاقترب منه "**ديزموند**".. وقال له "**بوارو**":

– تحسس نبضها.

وقام "**ديزموند**" بتنفيذ ما طلب منه.. ثم أردف قائلا:

– النبض متوقف.. وذراعها متيبسة.. رباه.. إنها جثة هامدة..! فعقب "**بوارو**" بقوله:

– أجل، إنها بالفعل جثة هامدة.. لقد جعل بعضهم من المهزلة مأساة.. بعضهم.. من عساه أن يكون؟

– توجد آثار أقدام تشبه إلى حد كبير آثار قدميك المتخلفة عن قدومك إلى هذه البقعة.

فاستدار "**ديزموند لي ورتلي**" على عقبيه قائلا:

– رباه..! هل تتهمني أنا..؟ إنك لمجنون..! وما الذي يدعوني لقتل هذه الفتاة؟

– هذا هو عين ما يدور بخلدي من تساؤل.. فلنر...

وركع يحاول فتح أصابع يد الفتاة المطبقة.. وحملق "**ديزموند**" غير مصدق لما تراه عيناه.. إذ انفرجت راحة يد الفتاة القتيلة عن ياقوتة كبيرة الحجم.. فصاح "**ديزموند**" قائلا:

– أو تكون هذه قطعة الزجاج المستخرجة من الفطيرة؟

– وهل أنت واثق بذلك..؟

– كل الثقة. وفي حركة سريعة ركع "**ديزموند**" ليلتقط الحجر الأحمر من يد "**بريدجيت**".. فقال له "**بوارو**" مؤنباً:

– ما كان يجب أن تفعل ذلك.. كان يجب أن يترك كل شيء على حاله.

– إنني لم أعبث بالجثة.. وكان من الممكن أن نفقد هذا الحجر الذي يعد دليلا له أهميته.. أرى أن نسرع باستدعاء الشرطة.. سأقوم فوراً بالاتصال بهم تليفونيًّا. وهرع إلى القصر لا يلوي على شيء.. وأسرعت "**سارة**" إلى جانب "**بوارو**" هامسة وقد امتقع وجهها، وهي تمسك بذراعه في لهفة:

– إنني لم أدرك شيئاً.. لم أدرك شيئًا مما كنت تعنيه بحديثك عن آثار الأقدام؟

– مدموازيل، ابحثي بنفسك. وبعد أن تبينت أن آثار الأقدام المتجهة إلى الجثة والمبتعدة عنها مطابقة للأخرى المتخلفة عن "**ديزموند**" قالت:

– هل تعني.. أنه "**ديزموند**"..؟ هراء..! وفجأة سمعوا صوت محرك سيارة يعكر صفو السكون.. فاستداروا على أعقابهم؛ ليشاهدوا سيارة تندفع بسرعة جنونية في الطريق. وتعرفت "**سارة**" السيارة قائلة:

– إنه "**ديزموند**".. إنها سيارة "**ديزموند**".. لابد أنه رأى أن يذهب بنفسه لإبلاغ الشرطة والعودة بهم بدلا من الاتصال بهم تليفونيًّا. وأقبلت "**ديانا ميدلتون**" تعدو لتنضم إليهم.. وتساءلت وهي لا تكاد تلتقط أنفاسها:

– ماذا حدث..؟ لقد أقبل "**ديزموند**" مندفعاً إلى القصر.. وقال شيئًا عن مقتل "**بريدجيت**" وحاول الاتصال تليفونيًّا، غير أنه لم يتمكن من ذلك، وقال إن أحداً قد عبث بأسلاك التليفون ثم قال إنه لا مفر من أن يستقل سيارته إلى مركز الشرطة.. ففيم كل هذا..؟ وصدرت عن "**بوارو**" حركة لها معناها.. فحملقت

"**ديانا**" إلى وجهه قائلة:

- "**بريدجيت**"؟ ألم يكن هذا من قبيل المزاح..؟ لقد سمعت عن شيء من هذا القبيل الليلة الماضية.. وخيل إليّ أنهم سيمضون في تنفيذ ما اتفقوا عليه من عبث ضدك.

- أجل هذه كانت فكرتهم، أن يدبروا هذا المزاح ضدي، والآن هيا بنا جميعًا إلى المنزل في انتظار عودة السيد "**لي ورتلي**". فقال "**كولين**" معترضًا:

- لا يمكن أن نترك "**بريدجيت**" وحيدة هنا.

- ليس من جدوى يا ولدي من بقائك هنا.. إنها مأساة حقًّا، مأساة مروعة، وإن كنا لا نملك شيئًا إزاءها، إذن فلنأو إلى القصر؛ اتقاء للبرد، حيث يمكن أن نجد قدحًا من الشاي أو القهوة. وكان "**بيفيريل**" على وشك أن يقرع جرس الإفطار. واتجهوا إلى قاعة الطعام حيث اتخذ كل منهم مقعده. وبعد أن فرغوا من تناول طعامهم، وكانوا يحتسون القهوة، بدأ "**بوارو**" يتحدث قائلا:

- أجد لزامًا عليّ أن أسرد على مسامعكم قصة قصيرة.. ولن أقص عليكم جميع تفصيلاتها.. وستسمعون مني خطوطها الأساسية.. وهي قصة أمير قدم إلى هذه البلاد. وقد حمل معه جوهرة ثمينة مشهورة بغرض إعادة صياغتها قبل تقديمها للسيدة التي كان سيتزوج بها.. غير أنه كان قد عقد صداقة مع سيدة حسناء في مقتبل العمر.. ولم يكن الرجل موضع عناية السيدة الحسناء، بل كانت تركز همها في قطعة الجواهر. وكان أن اختفت السيدة ذات يوم حاملة معها تلك القطعة التاريخية الثمينة التي تعد من ممتلكات أسرته منذ عدة أجيال. وهكذا وجد الأمير الصغير نفسه في مأزق حرج. وهو بحكم مركزه، يجب أن يتجنب كل فضيحة.. الأمر الذي لا يمكنه إزاءه أن يتصل بالشرطة. ولذلك فقد رأى الاتصال بي بـ"**هركيول بوارو**" ليعيد إليه ياقوتته التاريخية.. ولهذه السيدة الحسناء صديق، ولهذا الصديق ماض غير شريف.. غير أن هذا الصديق لم يقع تحت طائلة القانون، ولم تتجاوز سمعته حد الشك فيه؛ لأنه كان حاذقًا شديد الحرص. ولقد وصل إلى علمي أن هذا السيد الشديد الذكاء يقضي عيد الميلاد في هذا القصر..

وكان من الضروري أن تختفي السيدة الحسناء عن الأنظار، فور حصولها على الياقوتة؛ تجنبًا لما عساها أن تتعرض له من حرج وضغط، وبناء على ذلك اتخذت الاحتياطات اللازمة لمجيئها إلى "**كنجز لاسي**" بوصفها شقيقة السيد الأفاق. فقاطعته "**سارة**" قائلة:

– أوه، لا.. أوه، لا ليس هنا..! ليس وأنا موجودة هنا..!

– ولكن هذا هو الواقع... وقد تسنى لي أن أدعى لقضاء عيد الميلاد هنا، وكان المفروض أن تزعم تلك السيدة الحسناء أنها غادرت المستشفى قبل مجيئها إلى هنا، وأن صحتها آخذة في التحسن.. ثم وردت الأنباء بدعوتي أنا الآخر.. أنا الشرطي السري الأشهر إلى القصر.

وسرعان ما ادعت أنها انتكست صحيًا، ولزمت فراشها بعد أن أخفت الياقوتة في أول مكان طرأ على بالها.. وكانت لا تريد أن يتم بيننا لقاء؛ لأنني كنت سأتعرفها من صورتها الفوتوغرافية التي كانت معي. ومن هنا قضت على نفسها بعدم مغادرة غرفتها على أن يحمل شقيقها لها الطعام وانبرى "**مايكل**" متسائلا:

– والياقوتة..؟

– لقد كانت السيدة كما أعتقد موجودة معكم بالمطبخ حينما أعلن نبأ وصولي.. وكنتم في تلك اللحظة تعبثون وتلهون، وترتفع ضحكاتكم إلى عنان السماء. ورأت السيدة الحسناء أن أصلح مكان لإخفاء الياقوتة هو إحدى الفطائر التي كانت تعد لمأدبة رأس السنة.

وكانت السيدة الحسناء قد علمت بهذا التفصيل من الطاهية عرضًا وكانت تزمع الرحيل قبل رأس السنة حاملة معها الفطيرة المشار إليها، غير أن للقدر يده العليا، فقد حدث أن سقطت الفطيرة المعدة لمأدبة عيد الميلاد في صباح اليوم نفسه، مما جعلها غير صالحة للتقديم.. وكان أن رأت السيدة "**روس**" تقديم الفطيرة الأخرى المعدة لرأس السنة والتي وضعت بها السيدة الحسناء الياقوتة الحمراء. فقال "**كولين**":

– رباه! هل تعني أن هذه الياقوتة هي التي تسببت في ثورة جدي حينما كان

يلتهم نصيبه من الفطيرة؟

- أجل، ويمكنك أن تصور لنفسك انفعالات السيد "**ديزموند لي ورتلي**" حينما فوجيء بذلك. وحدث أن تناولت الياقوتة من يد العميد "**لاسي**" بحجة فحصها ووضعتها خلسة في جيبي.. غير أن شخصاً واحداً لم تفته هذه الحركة. وقد دخل إلى غرفتي وقام بتفتيشها وبتفتيشي، ولكنه لم يعثر على الياقوتة. فكيف كان ذلك؟ فأسرع "**مايكل**" يقول:

- لأنك سلمتها لـ"**بريدجيت**".. هذا هو ما تعنيه.. ومن هنا.. ولكنني لا أفهم شيئاً. ماذا حدث على وجه التحديد؟ فابتسم "**بوارو**" قائلا:

- هيا بنا إلى المكتبة- وأطلوا من النافذة- ولسوف أطلعكم على ما قد يجلو لكم هذا السر. وتقدمهم وتبعه الجميع.. وبادرهم "**بوارو**" بقوله:

- فلتستعيدوا مسرح الجريمة.

ثم لوح بيده عبر النافذة.. وندت عن الجميع صرخة مكتومة.. فلم تكن هناك جثة فوق الجليد، ولم يكن ثمة أثر للحادث المؤسف. وفي صوت خافت قال "**كولين**":

- هل كان ما شاهدناه حلماً.. هل رفعت الجثة من مكانها..؟

- هذا هو لغز الجثة المختفية. ثم أطرق برأسه.. وصاح "**مايكل**" قائلا:

- رباه..! السيد "**بوارو**" إنك.. إنك تعبث بمشاعرنا..!

- هذا صحيح يا بني.. أليس من حقي أن ألهو بدوري. لقد كنت على علم بما تدبرون.. ولقد عمدت إلى تدبير ما أواجه به مؤامرتكم. ها هي الآنسة "**بريدجيت**".. أرجو ألا يكون قد أصابك أذى من تعرضك لبرودة الجليد القاسية..

وكانت "**بريدجيت**" قد أقبلت ترتدي ثياباً صوفية سميكة وهي تضحك.. وبادرها "**بوارو**" قائلا:

- لقد بعثت إليك بشراب ضد البرد.. هل تناولت شيئاً منه..؟

- جرعة واحدة كانت فيها الكفاية..! إنني بخير أتراني قد أجدت تمثيل

دوري..؟ إن ذراعي تؤلمني نتيجة لهذا القماط الضاغط الذي سألتني وضعه حولها.

– لقد كنت رائعة يا بنيتي.. رائعة.. ولكن مهلا إن سائر القوم مازالوا في الظلام.. لقد التقيت مع الآنسة "**بريدجيت**" الليلة الماضية، وقلت لها إنني على علم بمؤامرتكم، وسألتها أن تقوم بدور من أجلي.. ولقد أدت دورها ببراعة منقطعة النظير.. وهي التي افتعلت آثار الأقدام بواسطة حذاء السيد "**لي ورتلي**"

وانبرت "**سارة**" متسائلة بصوت أجش:

– ولكنني أريد أن أعرف فيم كل هذا..؟ وفيم كان إيفاد "**ديزموند**" ليعود برجال الشرطة..؟ إن رجال الشرطة لن يغفروا هذا العبث.

– إنني لا أعتقد يا آنستي أن السيد "**لي ورتلي**" قد ذهب لإبلاغ رجال الشرطة بشيء. إن القتل جريمة لا يريد السيد "**ورتلي**" أن يزج باسمه فيها. لقد فقد السيطرة على أعصابه. وكان كل ما يعنيه أن يفوز بالياقوتة، وادعى أن التليفون معطل، وهرع بحجة إحضار رجال الشرطة. وأعتقد أنه سيطول بك العهد قبل أن تلتقي معه ثانية. إن لديه وسائله الخاصة التي تمكنه من الرحيل عن "إنجلترا".. إن لديه طائرته الخاصة، أليس كذلك؟

فأومأت "**سارة**" برأسها قائلة:

– بلى.. كنا نعتزم... وتوقفت عن مواصلة الكلام.. فقال لها "**بوارو**":

– لقد كان يريد منك أن تهربي معه، أليس كذلك..؟ إنها وسيلة للتهرب مأمونة العواقب.. فحينما يقال عنه إنه هارب مع فتاة، ويعلن هذا على الملأ، فلن تساور الشكوك أحداً بالنسبة إلى نواح أخرى. كتهريب جوهرة تاريخية. إن هروبك معه من شأنه أن يستغل كستار لعملية التهريب التي تعد بيت القصيد.

– إنني لا أصدق شيئًا من هذا، وأستبعده تمامًا. فقال لها "**بوارو**" في رقة بالغة:

– سلي شقيقته. وأومأ برأسه ناحية الباب وأسرعت "**سارة**" تدير رأسها إلى حيث وقع نظرها على سيدة شقراء واقفة بالباب. وكانت ترتدي معطفًا من الفراء. وقالت هادرة وقد استشاطت غضبًا:

– شقيقته.. ! إن هذا الأفاق ليس بشقيقي.. ! لقد أطلق ساقيه للريح وتركني أحمل الوزر وحدي.. لقد كان كل شيء من تدبيره.. ! ولقد أغراني بكسب وفير لأقبل عرضه، كما قال لي إنهم لن يقيموا الدعوى ضدي تجنبًا للفضيحة. وإن بوسعي أن أهدد بأن الأمير هو الذي أهداني الياقوتة التاريخية. وكان من المفروض أن نقتسم الغنيمة في "**باريس**".. والآن يخدعني الأفاق ويلوذ بالهرب.. ! بودي لو قتلته، وتيسر لي ذلك بعد مغادرتي لهذا القصر! هلا استدعيتم لي سيارة أجرة تليفونيًا..؟ فقال لها "**بوارو**":

– ثمة سيارة في انتظارك بالباب.

– إنك لا تغفل شيئًا، أليس كذلك..؟

– في أغلب الأحيان. وحينما عاد "**بوارو**" إلى قاعة الطعام بعد معاونة السيدة الراحلة وهي تستقل السيارة استقبله "**كولين**" قائلا في حدة:

– السيد "**بوارو**" ماذا عن الياقوتة..؟ هل أفهم مما سمعت أنك تركته يرحل بها..؟ وبدا "**بوارو**" قد أسقط في يده.. وقال متخاذلا:

– لسوف أعيدها بوسيلة أو بأخرى.. سأبذل قصارى جهدي. فصاح "**مايكل**" يقول له محتدًا:

– إن مجرد إتاحة الفرصة لهذا الأفاق ليفوز بما خطط له.. وأردفت "**بريدجيت**" مقاطعة:

– إنه يسخر منا ثانية.. أليس كذلك، السيد "**بوارو**"..؟

– مدموازيل، هل يمكن أن نختتم المسرحية بحيلة أخرى..؟ ضعي يدك في جيبي الأيسر.

وأطاعت "**بريدجيت**" الأمر.. ثم عادت تخرجها وهي تصيح في فرح وغبطة، بينما رفعت يدها بالياقوتة الرائعة التي تشع بهاء. وانبرى "**بوارو**" موضحًا:

– لعلك أدركت كل شيء.. إن الياقوتة التي كانت في يدك، هي تقليد محكم لها، رأيت أن أحملها معي من "**لندن**" استعدادًا لكل طارئ. إننا لم نرد أن نعلن فقد الياقوتة اتقاء للفضيحة. لذلك رأينا أن ندبر أمرنا على هذا الأساس لقد

استعدنا الياقوتة، وتجنبنا الفضيحة، وسيعود الأمير إلى بلاده ويعقد قرانه.. لقد انتهى كل شيء على ما يرام. فتمتمت "**سارة**" قائلة:

– ما عدا ما يتصل بي. ولم يسمع تعقيبها سوى "**بوارو**" فقال:

– الآنسة "**سارة**"، لقد جانبك الصواب فيما قلت. لقد فزت بتجربة ستكون لك درسًا لا ينسى.. ولكل تجربة قيمتها.. وانبرى "**كولين**" يقطع عليهما حديثهما قائلا:

– السيد "**بوارو**" كيف علمت بأمر ما كنا ندبره لك..؟

– أليس هذا من صميم عملي..؟

– بلى، ولكنني أريد أن أعرف شيئًا عن وسائلك. ترى هل وشى بنا أحد..؟ هل باح أحد بشيء..؟

– لا.. لا.

– إذن، كيف علمت بأمر مؤامرتنا..؟ ورددوا جميعًا رجاءهم في إلحاح فقال:

– لئن أستجب لإلحاحكم، فسأكشف عن أساليبي ووسائلي.

– السيد "**بوارو**"، خبرنا بجلية الأمر..!

– هل تريدون حقًّا أن أميط اللثام عن هذا السر..؟

– أجل.. أجل.. إننا نلح في الرجاء.

– أخشى أن يخيب ظنكم.

– فليكن.

– كنت جالسًا في المكتبة بجوار النافذة بعد ساعة الشاي. وكنت مسترخيًا.. وبعد قليل سمعتكم تدبرون خطتكم عبر النافذة التي كنت جالسًا بجوارها. وجدير بالذكر أن النافذة كانت مفتوحة على مصراعيها. فانبرى "**كولين**" صائحًا:

– أو هذا كل ما في الأمر؟

– أرأيتم كيف خاب ظنكم..؟

– مهما يكن من أمر، فقد أرضيت فضولنا، وعرفنا كل شيء. وتمتم "**هركيول**". فيما بينه وبين نفسه، أما أنا فلا... وخرج إلى البهو، وقد دار بخلده

هذا التساؤل الذي ردده أكثر من مرة، عن سر هذه القصاصة من الورق، التي أخرجها من جيبه وقرأ بها: «لا تأكل شيئًا من فطيرة البرقوق.. ناصح يريد لك الخير».

واستغرق "**هركيول بوارو**" في استعراض كل احتمال، وكان غير راض عن نفسه لعجزه عن حل هذا اللغز، وهو الذي لم يستعص عليه لغز قط..! وراح يستعرض في ذهنه الظروف المحيطة بكتابة هذه القصاصة والأسباب الداعية إلى كتابتها.. هذه الأسئلة سوف تقض عليه مضجعه إلى أن يعرف الجواب الصحيح عنها. وصحا من تأملاته على صوت جلبة وضوضاء. وأبصر أمامه، وعلى مقربة منه إحدى الخادمات مكبة على تنظيف الأرضية. وتبين أنها تحملق إلى قصاصة الورق التي كانت بين يديه، والتي كانت تملك عليه تفكيره. وسمعها تقول له:

– سيدي.. سيدي أرجوك..

– ومن عساك أن تكوني..؟

– "**آني باتس**"، يا سيدي.. إنني أعمل مساعدة للسيدة "**روس**". إنني لم أستهدف الإضرار بأحد.. لقد فعلت ذلك من أجلك. وبدأ "**بوارو**" يدرك ما غمض عليه.. وشهر قصاصة الورق في وجهها قائلا:

– "**آني**"، أتراك كاتبة هذه القصاصة..؟

– أجل.. لقد كنت حسنة النية.. وكنت أستهدف كل خير لك. وكانت الشكوك تساورني بالنسبة إلى كل من السيد "**لي ورتلي**" وشقيقته. وهي لم تكن مريضة، بحال ما. وقد تبادر إلى أذهاننا جميعًا أن الأمور ليست على ما يرام. وسأصارحك بكل شيء يا سيدي. لقد حدث في أثناء وجودي بغرفة الاستحمام لتغيير المناشف أن طرق سمعي حديث بينها وبين شقيقها المزعوم، فأصخت السمع. وسمعت فيما سمعت السيد "**لي ورتلي**" يقول لها: «هذا الشرطي السري المدعو "**بوارو**" القادم إلى هنا يجب أن نتدبر أمرنا معه».

ثم استطرد هامسًا: «أين وضعتها؟» فأجابته: «في الفطيرة». وتبادر إلى ذهني أنهم يريدون بك شرًا، وأنهم دسوا لك السم في فطيرة عيد الميلاد. ولم أدر ماذا

أفعل..! وكنت أعرف أن السيدة "**روس**" لم تكن لتصغي لأمثالي. ثم طرأت لي فكرة أن أكتب إليك تحذيراً. هذه هي جلية الأمر.

– يبدو لي أنك تشاهدين الكثير من الأفلام المثيرة أم لعلك تأثرت بما تشاهدين في التليفزيون. ومهما يكن من أمر، فإن لك قلباً كبيراً، وذهناً متوقداً. وسأبعث إليك بهدية فور عودتي إلى "**لندن**".

– شكراً يا سيدي.. شكراً جزيلا.

– ماذا تودين كهدية..؟

– هل لي أن أختار..؟

– في حدود المعقول.

– هل يمكن أن أطمع في حقيبة يد من هذا الطراز الذي كانت تحمله الشقيقة المزعومة؟

– لك ما أردت..

– شكراً يا سيدي.. شكراً من صميم قلبي.

ومضت "**آني**" في طريقها، ووقف "**بوارو**" يتابعها بعينيه، وهو يوميء برأسه راضيا، مردداً:

– والآن، لم يبق لي ما أفعله هنا.

وشعر بذراعين تطوقانه على حين غرة منه.. وكانت "**بريدجيت**" قد رأت أن تداعبه. ورأى "**بوارو**" في ذلك خير ما يختتم به عيد الميلاد الموفق.

الخدعة الكبرى

لم يكد السيد "**باركر باين**" يهبط من الباخرة السياحية في ميناء "**بالما**" بجزيرة "**مايوركا**" الإسبانية في الساعات المبكرة من الصباح حتى صادفته خيبة أمل شديدة.. فقد كانت الفنادق مليئة.. وأحسن غرفة وجدها كانت شبه دولاب حبيس يطل على فناء داخلي في فندق بوسط البلدة، وهو ما لم يكن السيد "**باركر باين**" على استعداد لقبوله.. ولكن صاحب الفندق لم يعبأ باستيائه وخيبة أمله، وقال وهو يهز كتفيه:

– ماذا تريد أن نفعل؟

كانت "**بالما**" في هذا الفصل الشتوي مهوى السياح الإنجليز والأمريكيين.. وكانت البلدة كلها مزدحمة.. ولهذا كان من المشكوك فيه أن يوفق هذا السيد الإنجليزي إلى العثور على مكان مناسب للإقامة اللهم إلا إذا واصل البحث في بلدة "**فورمنتون**" حيث كانت الأسعار أيضًا خيالية.

وقد تناول السيد "**باركر باين**" القهوة وبعض الشطائر، وخرج لمشاهدة الكاتدرائية، ولكنه لم يجد قابلية للاستمتاع بروائع الفن المعماري... وكانت الخطوة التالية هي التشاور مع سائق سيارة أجرة طيب القلب، وانتهت المشاورة بنقل حقائب السيد "**باركر باين**" إلى السيارة، والاتفاق على رحلة حول الجزيرة في محاولة العثور في أثناء الطريق على فندق أرخص سعرًا، على أن تكون الوجهة النهائية هي بلدة "**فورمنتون**"..

بيد أنه قدر لهما ألا يصلا إلى هذه الوجهة، فإنهما لم يكادا يتجاوزان الشوارع الضيقة في بلدة "**بولونيا**" ويبتعدان قليلا في اتجاه الشاطئ الدائري حتى وصلا إلى فندق "**بينودور**". وهو فندق صغير قائم على حافة الشاطئ يطل على مشهد طبيعي حالم في هذا الصباح البديع..

وفي الحال عرف السيد "**باركر باين**" أن هذا المكان وحده هو ما يبحث عنه.. فاستوقف السيارة الأجرة واجتاز البوابة الملونة آملا أن يجد مكانًا يستقر فيه

أخيراً.. ولم يكن صاحبا الفندق المسنان يعرفان الإنجليزية ولا الفرنسية، ولكن الاتفاق تم بصورة مرضية.. فقد خصصت للسيد "**باركر باين**" غرفة مطلة على البحر.. وأنزلت الحقائب. ونقد سائق السيارة أجرته فانصرف شاكراً وهو يحيي بالإسبانية تحية مرحة..

ونظر "**باركر باين**" إلى ساعته، ولما وجدها لم تتجاوز- حتى هذا الوقت- الساعة العاشرة خرج إلى الشرفة الصغيرة الغارقة في أشعة الشمس الساطعة، وطلب للمرة الثانية هذا الصباح قهوة وشطائر.

كانت هناك أربع موائد.. مائدته، ومائدة ثانية كانت تنقل منها بقايا طعام الإفطار، ومائدتان مشغولتان.. وحول المائدة المجاورة له مباشرة جلست أسرة مؤلفة من أب وأم وابنتين كبيرتين في السن ودل حديثهم على أنهم ألمان.. ومن وراء هذه الأسرة عند ركن الشرفة جلست أم وابنها. كان من الواضح أنهما من الإنجليز...

كانت المرأة تناهز الخامسة والخمسين ذات شعر وخطه الشيب وملابس أنيقة محتشمة، وكانت هيئتها العامة توحي بأنها من معتادات التنقل والأسفار.. وكان الشاب الجالس أمامها في نحو الخامسة والعشرين، من طراز الشباب الإنجليزي في مثل هذه السن، وكان واضحًا أنه على تمام الانسجام مع أمه. إذ كانا يتبادلان النكات والضحكات، وكان الشاب يتحفها طول الوقت بما أمامهما على المائدة.

وفي خلال حديثهما لاحت من الأم نظرة عابرة إلى ناحية "**باركر باين**"، فأدرك أنها قدرت هويته الإنجليزية ولا شك أنه لن يمضي وقت طويل حتى تبادره بإحدى عبارات المجاملة التقليدية.. ولم يكن "**باركر باين**" يفكر في هذا.. نعم إن مواطنيه الإنجليز في الخارج كانوا يثيرون فيه الملل، ولكنه كان أميل في عزلته هذه إلى تبادل الحديث قتلا للوقت.. ولم يلبث الشاب الإنجليزي أن نهض من مكانه وأبدى لأمه ملاحظة ضاحكة، ثم دلف إلى داخل الفندق.. فحملت الأم رسائلها وحقيبتها واستقرت في مقعد مواجه للبحر متجهة بظهرها إلى ناحية "**باركر باين**"، وفتحت نسخة من إحدى الجرائد الإنجليزية.. لكن عين "**باركر باين**" الخبيرة المدربة دلته- من حركتها- على أنها لم تدر ظهرها إلا لكي تخفي دموعًا

ترقرقت في عينيها وكانت تجاهد لكتمانها وإخفاء آثارها. ومهما يكن فقد احتسى "**باركر باين**" الجرعات الأخيرة من قهوته وانسحب متراجعًا إلى داخل الفندق.. منذ أقل من نصف الساعة كان قد طلب منه التوقيع باسمه في سجل نزلاء الفندق فوقع باسم "**باركر باين**".. وكانت عيناه قد لمحتا في الخانة التي تعلو اسمه اسمي السيدة "**د. تشستر**" والسيد "**بازيل تشستر**" من "**هولم بارك**" مقاطعة "**ديفون**"...

فما لبث وقتئذ أن تناول القلم وكتب بسرعة فوق توقيعه اسمًا يقرأ بصعوبة هو "**كريستوفر باين**".. ومعنى هذا أن السيدة "**تشستر**" لو كانت تعاني مشكلة تحزنها في هذا البلد فإن تغيير معالم اسمه على هذه الصورة لن يمكنها من اللجوء إلى السيد "**باركر باين**" صاحب الاسم المعروف لاستشارته في مشكلتها.

والواقع أن "**باركر باين**" اعتاد أن يصادف العديد في الخارج ممن يعرفون اسمه وإعلاناته المنشورة في الصحف الإنجليزية ولم يكن في هذا ما يثير العجب؛ لأن هؤلاء يطالعون الصحف بإمعان.. ولا يفوتهم حتى قراءة الإعلانات.. ولهذا السبب فإن إجازته كانت تقطع عليه في مناسبات عديدة.. كثيراً ما عالج خلالها مشكلات شتى كانت تتراوح بين جرائم القتل، ومحاولات التهديد، وابتزاز الأموال.. أما هنا في هذه الجزيرة فقد كان مصممًا على أن ينال راحته كاملة. وقد شعر الآن بغريزته أن الأم المكروبة يمكن أن تفسد عليه هذه الراحة وتسلبه كل هدوء..

هكذا استقر "**باركر باين**" في فندق "**بينودور**" وهو قرير العين، ناعم البال.. كان هناك فندق أكبر على مسافة قصيرة ينزل فيه كثير من الإنجليز.. وفي نفس المنطقة كان ثمة مستعمرة للفنانين تمتد بعدها قرية للصيادين بها مشرب للكوكتيل يتلاقى فيه الناس، بالإضافة إلى بضعة حوانيت وهكذا كانت المنطقة كلها تهيئ أسباب الراحة والاستجمام.

ومهما يكن ففي اليوم التالي لوصول "**باركر باين**" كانت السيدة "**تشستر**" تبادله الحديث عن مشاهد الطبيعة، وعن حالة الطقس، وكان ابنها "**بازيل**" يستمع

إلى حديثه بأتم أدب واحترام.. وأحيانًا كان الثلاثة يتناولون القهوة معًا بعد الفراغ من تناول طعام العشاء.. وفي اليوم الثالث ما لبث أن استأذن "**بازيل**" بعد عشر دقائق من بدء الجلسة وبقي "**باركر باين**" منفرداً مع السيدة "**تشستر**". ولم يفته أن يلاحظ تلك الرعشة اليسيرة التي بدت على شفتي الأم عقب انصراف ولدها.. ولكنها تمالكت نفسها بسرعة وأخذت تحدثه عن "**بازيل**"، وعن تقدمه في دراسته الجامعية، وعن محبة الناس له قائلة: إن والده لو ظل على قيد الحياة لكان فخوراً به، واختتمت حديثها قائلة:

– أحمد الله أن "**بازيل**" لم يشب ابنًا مشاكسًا.. وبالتأكيد إنني أحثه دائمًا على مرافقة الشباب من سنه، ولكنه في الواقع يفضل أن يكون في صحبتي. فقال "**باركر باين**" معقبًا:

– هناك كثير من الشباب هنا.. لا أعني في الفندق، ولكن في دائرة الجزيرة.

وعند هذه العبارة لاحظ أن السيدة "**تشستر**" تصلبت عضلاتها. وقالت:

– إن هناك بالفعل كثيراً من الشباب الفنانين.. ولكنهم يتخذون من الفن ذريعة للتسكع هنا وهناك بدون أن يفعلوا شيئًا.. كما أن الفتيات يسرفن في تناول الشراب.. وفي اليوم التالي قال "**بازيل**" للسيد "**باركر باين**":

– أنا سعيد بوجودك بيننا يا سيدي، خصوصًا من أجل والدتي.. إنها تحب أحاديثك معها في فترة المساء.

– كيف كنتما تقضيان وقتكما عندما جئتما إلى هنا؟

– في الحقيقة كنا نلعب الورق.

– مفهوم..

– وبالتأكيد إن الإنسان لا يلبث أن يمل لعب الورق. والحقيقة أنني صاحبت بعض الأصدقاء هنا.. هم جماعة ظريفة مرحة إلى أبعد حد.. ولا أظن أن أمي تقبلهم.. وضحك كمن يرى في هذا فكاهة، ثم أردف:

– إن أمي من العقلية القديمة.. حتى البنات لابسات البنطلون يصدمنها.. فقال السيد "**باركر باين**":

– هو هذا تمامًا..

– إنني أقول لها دائمًا إن الإنسان لابد له أن يساير الزمن. إن البنات في بلادنا مملات جدًا.. فقال السيد "**باركر باين**" مرة أخرى:

– مفهوم..

كل هذا كان يثير في نفسه عنصر الطرافة.. كان يتفرج على دراما مصغرة، ولكن لم يطلب منه حتى الآن أن يشارك فيها بدور..

ولكن لم يمض وقت طويل حتى وقع أسوأ شيء في نظر "**باركر باين**".. فإن سيدة ثرثارة من معارفه جاءت للإقامة في فندق "ماربيبوزا" المجاور.. وقد تلاقيا في مشرب الشاي بحضور السيدة "**تشستر**".. فهتفت السيدة:

– يا للعجب! السيد "**باركر باين**" بعينه.. و"**أنيل تشستر**" ذاتها.. هل تعارفتما؟ وتقيمان في فندق واحد؟.. هو الساحر الوحيد الأصلي يا "**أنيل**"! هو أعجوبة القرن! كل متاعبك ستتبخر.. ماذا..؟ ألم تعرفي هذا؟.. لابد أنك سمعت عنه.. ألم تقرئي الإعلانات التي ينشرها في الجرائد.. (هل لك مشكلة عويصة؟... استشر السيد "**باركر باين**").. وليس هناك شيء لا يمكن أن يفعله أزواج وزوجات على وشك أن يقتلوا بعضهم البعض، وبفضله يتم التصافي.. إذا يئست من الحياة فإنه يعيد اهتمامك بأشد المغامرات إثارة.. فإنه كما قلت ساحر.. وكفى!..

واستمرت السيدة تتدفق بهذا الكلام والسيد "**باركر باين**" يعترض بين فترة وأخرى متواضعًا.. إنه كره تلك النظرات التي رأى السيدة "**تشستر**" توجهها إليه بتأثير هذا الكلام.. بل كره أكثر من هذا رؤيتها عائدة من طريق الشاطئ وهي تتشدق بالحديث مع السيدة الثرثارة التي أغدقت عليه كل هذا المديح. وقد حدثت المأساة بأسرع مما كان يتوقع.. ففي ذلك المساء وبعد شرب القهوة، قالت له السيدة "**تشستر**" فجأة:

– أرجوك أن تأتي معي إلى الصالون الصغير يا سيد "**باين**".. هناك شيء أريد أن أقوله لك.. لم يكن بوسعه إلا أن يمتثل..

والواقع أن الهدوء الذي كانت تتسم به السيدة "**تشستر**" ما لبث أن تلاشى.. وما إن أغلق باب الصالون عليهما حتى تحطمت فجأة وجلست تجهش بالبكاء. وراحت تقول:

– ولدي يا سيد "**باركر باين**"! لابد أن تنقذه! إن حكايته تحطم القلب!

– إنني يا سيدتي كإنسان غريب.

– قالت "**بينا ويكر لي**" إنك تستطيع أن تفعل أي شيء. قالت إنه يمكنني أن أضع بك كل الثقة.. إنها نصحتني أن أخبرك بكل شيء.. وأكدت أنك سوف تسوي المسألة كلها تماماً..

راح السيد "**باركر باين**" يلعن في سره السيدة "**ويكر لي**" الفضولية الثرثارة.. ولكنه لم يتمالك أن قال مستسلماً:

– لا بأس.. لنطرح المشكلة من أساسها.. أظن أنها بخصوص فتاة؟

– هل أخبرك عنها؟

– بطريقة غير مباشرة.. راحت الكلمات تتدفق بحرارة وانفعال من السيدة "**تشستر**":

– هي فتاة شنيعة! إنها تشرب.. وتسب.. إن ملابسها لا تكاد تسترها.. لها أخت كانت تقيم هنا.. وكانت متزوجة بفنان هولندي.. «الشلة» كلها شنيعة..! نصفهم يعيشون مختلطين بدون أن يجمعهم زواج!.. إن "**بازيل**" تغير تماماً.. إنه كان دائماً مثال الهدوء والاهتمام بالمسائل الجادة.. إنه فكر في وقت من الأوقات في أن يكون من دارسي الحفريات والآثار. فقال السيد "**باركر باين**":

– حسناً.. إن الطبيعة سوف تنال انتقامها..

– ماذا تقصد؟

– ليس من المأمون بالنسبة إلى شاب أن يتفرغ للمسائل الجادة وحدها.. لا مفر له من أن يركب رأسه من أجل فتاة بعد فترة..

– أرجو أن تبقى جاداً يا سيد "**باركر باين**"!..

– إنني جاد كل الجد.. هل الفتاة التي تقصدينها، هي التي كانت تشرب

معكما الشاي أمس؟

كان قد لاحظها.. كانت تلبس البنطلون الرياضي.. وحول رقبتها منديل قرمزي تدلت عقدته على صدرها.. والفم المصبوغ الصارخ.. والشراب الذي شربته بدل الشاي..

-هل رأيتها؟.. شنيعة! ليست نوع الفتاة التي كان ممكنا أن يعجب "**بازيل**" بمثلها..

– إنك لم تمنحيه أقل فرصة لكي يعجب بأي فتاة.. أليس كذلك..؟

– أنا؟

– إنه تعلق بصحبتك أكثر من اللازم.. شيء رديء.. مع ذلك أعتقد أنه سوف يخرج من هذه الورطة.. إذا أنت لم تتعجلي الأمور..

– أنت لا تفهم.. إنه يريد أن يتزوج هذه الفتاة.. "**بيتي جريج**".. إنهما مخطوبان.

– هل تطور الأمر إلى هذا الحد؟

– نعم.. لابد أن تفعل شيئًا يا سيد "**باركر باين**".. لابد أن تنقذ ابني من هذا الزواج المدمر! إن حياته كلها توشك أن تنتهي بكارثة!

– لا يمكن أن تنتهي حياة أي إنسان بكارثة إلا من صنع يديه. فقالت السيدة "**تشستر**" بيقين:

– هذا ما سينتهي إليه "**بازيل**"..

– أنا لا أشعر بأي قلق على "**بازيل**"

– أنت لا تقلق على "**بازيل**"؟

– لا.. أنا قلق عليك.. فإنك تبددين أمومتك هباء..

راحت السيدة "**تشستر**" تتطلع إليه مأخوذة.. فقال لها:

– إنها السنوات بين العشرين والأربعين الفترة التي تتحكم فيها العلاقات العاطفية.. هذا شيء لابد منه.. هذه هي طبيعة الحياة.. ولكن فيما بعد هناك مرحلة جديدة.. يبدأ الإنسان يفكر، ويدرس الحياة، ويكتشف الأشياء عن غيره

من الناس، ويكتشف الحقيقة عن نفسه.. وعندئذ تصبح الحياة هي الحياة، حقيقية وذات قيمة.. يراها الإنسان ككل لا مجرد مشهد واحد، هو المشهد الذي كان يقوم به كما يفعل الممثل.. إن الرجل أو المرأة، لا يكون هو نفسه، أو هي نفسها إلا بعد الخامسة والأربعين.. هذه هي المرحلة التي تنضج عندها الشخصية..

فقالت السيدة "**تشستر**":

– إن "**بازيل**" كان دائماً الظل الذي أستظل به.. إنه دائماً كل شيء في حياتي..

– لا بأس.. ما كان يجب أن يكون هكذا.. إنك الآن تدفعين الثمن.. أحبيه كما تشائين وقدر ما تستطيعين، لكن تذكري أنك "**أنيل تشستر**".. شخص.. لا مجرد أم "**بازيل**".. فقالت الأم:

– سوف يتحطم قلبي إذا دمرت حياة "**بازيل**"!

راح يتفرس في ملامحها الدقيقة التي شاع فيها الحزن والتفجع.. فأخذته الشفقة عليها.. وقال لها:

– سوف أرى ما يمكن أن أفعله.

◆◆◆◆◆

وجد "**بازيل تشستر**" يفتح له قلبه على الفور.. فقد قال له الشاب يشرح وجهة نظره:

– إن هذه المسألة تتطور إلى جحيم.. إن أمي لا تطاق.. إنها مغرضة.. ضيقة العقل.. لو تحكمت في مشاعرها قليلا لوجدت أن "**بيتي**" ممتازة.

– و"**بيتي**" من ناحيتها؟ فتنهد الشاب قائلا:

– هي من ناحيتها صعبة عنيدة.. لو أنها انصلحت قليلا أعني لو تخلت يوماً عن أحمر الشفاه الصارخ، لاختلف الموقف كثيراً.. إنها تبالغ في التطرف؛ لكي تبدو فتاة "**مودرن**" متى كانت أمي موجودة.

فابتسم "**باركر باين**".. بينما أضاف الشاب قائلا:

– إن "**بيتي**" وأمي اثنتان من أحب الناس وأظرفهم، وكنت أتمنى لو أنهما تآلفتا

وانسجمتا من أول لحظة. فقال "**باركر باين**" :

– أمامك أن تتعلم الكثير يا بني.. فقال "**بازيل**" :

– بودي أن تأتي معي وتتحدث إليها في الموضوع.

فقبل "**باركر باين**" الدعوة على الفور.

كانت "**بيتي**" وأختها وزوج أختها يقيمون في فيللا قديمة تبعد مسافة عن البحر.. وكانت حياتهم صورة للبساطة.. كان الأثاث لا يتجاوز ثلاثة مقاعد، ومنضدة، وأسرة صغيرة بالإضافة إلى دولاب في الحائط به الضروري من الأطباق والأكواب... وكان "**هانز**" الزوج شابًا انفعاليًا وهو يروح ويجيء.. وكانت زوجته "**ستيللا**" شقراء، نحيلة الجسم.. أما أختها "**بيتي**" فكانت حمراء الشعر، منقطة الوجه، ماكرة النظرات.. ولما أبصرها في ذلك الوقت كانت بعيدة عن الزينة التي ظهرت بها بالأمس في فندق "**بينودور**"...

قالت له "**بيتي**" بغمزة عين وهي تناوله كأسًا من الشراب:

– هل دخلت المعمعة؟ فأومأ السيد "**باركر باين**" إيجابًا.. فقالت:

– وفي أي صف تقف؟... صف العشاق؟.. أم صف السيدة الشمطاء؟

– هل يمكن أن أسألك سؤالا؟

– بالتأكيد..

– هل كنت تتصرفين بلباقة وحكمة في هذه المشكلة؟ فأجابت "**بيتي**" بصراحة:

– لا... لكن القطة العجوز غاظتني... قالت هذا وهي تدير نظرها؛ لكي تتأكد أن "**بازيل**" لا يسمعها. ثم استطردت تقول:

– إن تلك المرأة تثير جنوني.. إنها ربطت "**بازيل**" بحبالها طول هذه السنين.. ومثل هذا العمل يحول أي إنسان إلى أحمق يشار إليه بالبنان.. لكن "**بازيل**" ليس أحمق في الواقع.. ثم إنها متمسكة بالتقاليد بصورة شنيعة..

– إن هذا ليس عيبًا في حد ذاته.. كل ما هناك أنه لا يتفق مع التطور هذه الأيام.

فراحت "**بيتي**" تتأمل قليلا.. ثم قالت فجأة وقد لمعت عيناها:

– ربما كنت على حق.. سأكون صريحة معك.. الحقيقة أن "**بازيل**" هو الذي أثار غيظي بتلهفه على نوع الانطباع الذي أتركه في نفس أمه.. إن هذا جعلني أتطرف في كل تصرفاتي.. وحتى الآن أعتقد أنه قد ينفض يديه مني إذا واصلت أمه مساعيها ونشاطها من حوله... فقال السيد "**باركر باين**":

– قد يفعل هذا إذا هي سلكت الطريق الصحيح..

– وهل ستدلها أنت على الطريق الصحيح؟ لا يمكن أن تفعل هذا وحدها كما تعرف.. كل ما يمكنها هو أن تستمر في التكبر والممانعة، ولن يفيدها ذلك بشيء.. لكن إذا أنت أرشدتها ورسمت لها الخطة...

وعضت شفتيها.. ورفعت إليه عينين زرقاوين تفيضان صراحة.. ثم أضافت تقول:

– إنني سمعت بك يا سيد "**باركر باين**".. مؤكد أنت تعرف حقيقة الطباع البشرية.. هل تظن أنني و"**بازيل**" يمكن أن ننجح في حياتنا؟.. أم لا..؟

– أحب أولا أن تجيبي عن ثلاثة أسئلة..

– أهو اختبار الصلاحية؟.. لا بأس.. قل أسئلتك..

– هل تنامين ونافذتك مفتوحة أم مقفلة؟

– مفتوحة.. إنني أحب الهواء النقي.

– هل تستمتعين أنت و"**بازيل**" بنفس الطعام؟

– نعم..

– هل تذهبين للنوم ليلا في وقت مبكر أم متأخر؟

– الحقيقة في وقت مبكر.. في الساعة العاشرة والنصف أتثاءب من النعاس.. وفي الصباح أشعر بشهية شديدة للأكل.. ولكنني لا أقول هذا صراحة... فقال السيد "**باركر باين**":

– أنتما تليقان أحدكما للآخر تماماً..

– هذا اختبار بسيط جداً..

– لا.. إنني عرفت أكثر من سبع زيجات تحطمت تمامًا؛ لأن الزوج كان يحب السهر حتى منتصف الليل والزوجة تستغرق في النوم في التاسعة والنصف، وبالعكس... فقالت "**بيتي**":

– من المحزن أن الناس لا يجدون السعادة.. هل معنى هذا أن أم "**بازيل**" تبارك زواجنا؟

فسعل "**باركر باين**" وقال:

– أظن أن هذا شيء يمكن تدبيره.. فنظرت إليه بارتياب، وقالت:

– ترى هل تخدعني؟ ولكن ملامحه لم تنطق بلا أو نعم..

عندما رجع "**باركر باين**" إلى السيدة "**تشستر**" كان رقيقًا ملاطفًا ولكن أسلوبه كان مبهمًا غامضًا... قال لها إن الخطبة ليس معناها الزواج حتمًا..

وقال إنه ذاهب إلى بلدة "**سوللر**" في الجزيرة حيث يغيب أسبوعًا.. وأشار عليها أن يكون مسلكها بين بين، ولا بأس أن تظهر بمظهر الموافقة.. وفي بلدة "**سوللر**" أمضى أسبوعًا استمتع فيه بالراحة والاستجمام إلى أبعد الحدود. وعند عودته وجد الموقف قد انقلب رأسًا على عقب... فلم يكد يدخل فندق "**بينودور**" حتى رأى السيدة "**تشستر**" و"**بيتي جريج**" تشربان الشاي معا، ولم يكن "**بازيل**" معهما... وكانت السيدة "**تشستر**" ممتقعة الوجه.. وبدت "**بيتي**" كذلك في غير حالتها المألوفة.. لم تكن تضع شيئًا من الزينة بالمرة.. وبدا من مظهر أجفانها أنها كانت على وشك البكاء.

ومهما يكن فقد حيته كلتاهما بمودة، ولكن لم تذكر إحداهما اسم "**بازيل**".. وفجأة سمع "**بيتي**" بجانبه تشهق بحدة كأنما صدمها شيء فأدار "**باركر**" رأسه..

رأى "**بازيل تشستر**" يصعد درجات السلم من ناحية البحر وكانت برفقته فتاة رائعة الجمال حتى ليبهر حسنها الأبصار... كانت سوداء الشعر، فاتنة القوام، ترتدي ثوبًا من الكريب الأزرق الفاتح زاد من سحر جمالها.. وكانت المساحيق المعطرة والأحمر البرتقالي القاني الذي صبغ شفتيها قد ضاعف في أنوثتها الصارخة.. وبدا "**بازيل**" مفتونًا بها إلى حد أن نظراته كانت لا تكاد تفارق

وجهها... قالت له أمه:

– إنك تأخرت كثيراً يا "**بازيل**".. كان المفروض أن تذهب مع "**بيتي**" إلى محل "**ماك**".. فردت الحسناء بلهجة ناعمة متثنية قائلة:

– غلطتي.. إننا تركنا أنفسنا مع الأمواج.. ثم التفتت إلى "**بازيل**" قائلة:

ملاكي!.. هات لي شيئًا أشربه!..

وطوحت بحذائها ومددت ساقين بانت أظفارهما المصبوغة بمزيج من اللونين الزمردي والأخضر كان منسجمًا معها...

ولم تهتم الفتاة بالمرأتين، ولكنها مالت قليلا إلى ناحية "**باركر باين**" وقالت:

– شنيعة هذه الجزيرة! إنني كنت على وشك الموت من شدة الملل إلى أن قابلت "**بازيل**".. كم هو لطيف!

فقالت السيدة "**تشستر**" تقدم كلا منهما إلى الآخر:

– السيد "**باركر باين**".. الآنسة "**رامونا**"..

فتقبلت الفتاة هذا التعارف بابتسامة كسول ناعسة وغمغمت قائلة:

– أظن أنني سأناديك "**باركر**" فقط.. اسمي "**دولوريس**".

وعاد "**بازيل**" بالشراب.. ووزعت الآنسة "**رامونا**" حديثها– وإن كان أكثره نظرات– بين "**بازيل**" و"**باركر باين**".. أما المرأتان فلم تهتم بهما.. وقد حاولت "**بيتي**" – مرة ومرة– أن تشترك في الحديث ولكن الفتاة الحسناء لم تفعل أكثر من أنها راحت تحدق إليها وتتثاءب. وفجأة نهضت "**دولوريس**" قائلة:

– أظن أنني سأذهب الآن.. أنا نازلة في الفندق الآخر. هل يأتي أحد لتوصيلي؟

فوثب "**بازيل**" قائمًا وقال:

– سأذهب معك.. فقالت السيدة "**تشستر**":

– "**بازيل**".. عزيزي!

– سوف أعود بعد قليل يا أمي.. فقالت الآنسة "**رامونا**" موجهة حديثها للدنيا كلها:

– أليس هو ابن أمه؟.. هو في ذيلها باستمرار.. أليس كذلك يا بني؟

فاحمر وجه "**بازيل**" وبدا عليه الارتباك.. ولم تلبث الآنسة "**رامونا**" أن أومأت برأسها للسيدة "**تشستر**"، وأتحفت "**باركر باين**" بابتسامة ساحرة، ثم ابتعدت برفقة "**بازيل**".. خيم صمت ثقيل محرج بعد انصرافهما.. ولم يرد "**باركر باين**" أن يكون البادئ بالكلام.. كانت "**بيتي جريج**" تلوي أصابعها وتنظر في اتجاه البحر.. وبدت السيدة "**تشستر**" محمرة الوجه غاضبة.. وأخيراً قالت "**بيتي**" بصوت لا ينم على تمام الثبات:

– حسناً.. ما رأيك في قطتنا الجديدة؟.. فأجاب "**باركر باين**" بحذر:

– إنها غريبة إلى حد ما.. فأطلقت "**بيتي**" ضحكة قصيرة مرة قائلة:

– غريبة؟ فقالت السيدة "**تشستر**":

– هي شنيعة!.. شنيعة!.. لابد أن "**بازيل**" أصابه الجنون... وفجأة نهضت "**بيتي**" قائلة:

– أظن يا سيدة "**تشستر**" أنني سأعود إلى البيت.

– آه.. يا عزيزتي.. إن "**بازيل**" سوف يشعر بخيبة أمل شديدة.. فقالت "**بيتي**" بضحكة قصيرة:

– هل سيفعل هذا؟.. على كل حال أنا ذاهبة.. إنني أشعر ببعض الصداع. وابتسمت لهما وابتعدت.. فالتفتت السيدة "**تشستر**" إلى "**باركر باين**" قائلة:

– ليتنا لم نأت إلى هذا المكان.. قط!.. فهز "**باركر**" رأسه، بينما قالت السيدة "**تشستر**" مرة أخرى:

– ما كان يجب أن تذهب عنا.. لو بقيت هنا لما حدث هذا.. فاضطر "**باركر باين**" أن يقول:

– يا سيدتي العزيزة، أؤكد لك أنه متى كان الأمر متعلقاً بفتاة جميلة فلا يمكن أن يكون لي أي تأثير على ولدك.. الظاهر أن له طبيعة قابلة للتأثر بسرعة!.. فقالت السيدة "**تشستر**" دامعة العينين:

– إنه لم يكن هكذا قط... فقال "**باركر باين**" محاولا إبداء المرح:

– لا بأس.. يبدو أن هذا الافتتان الجديد قد قصم ظهر افتتانه بالآنسة

"**جريج**"!.. لابد أن يكون في هذا ترضية لك.. فقالت السيدة "**تشستر**":

– لا أعرف ماذا تقصد. إن "**بيتي**" لطيفة ومحبة لـ"**بازيل**" إلى حد التفاني.. وهي تتصرف بصورة حكيمة جداً في هذا الموقف.. وأظن أن ابني لابد أن يكون مجنوناً..

تلقى السيد "**باركر باين**" هذا التغيير المروع بدون جزع.. فقد صادف من قبل هذا التقلب في أحوال النساء.. وقال بدعة:

– ليس مجنوناً بالضبط.. مجرد شخص مسحور..

– إن المخلوقة شيطانة.. إنها لا تقاوم..

– ولكنها فاتنة إلى أقصى درجة!

فلم تزد السيدة "**تشستر**" على إبداء همهمة تنم على الاستنكار، ولم يلبث "**بازيل**" أن عاد صاعداً الدرج من ناحية البحر مسرعاً وقال:

– مرحباً يا أمي.. هأنا رجعت.. أين "**بيتي**"؟

– إن "**بيتي**" عادت إلى البيت مصابة بصداع.. إنني لا أستغرب..

– تقصدين أنها استاءت؟

– أظن يا "**بازيل**" أنك كنت في غاية القسوة مع "**بيتي**"..

– بالله لا تتشدقي بهذا الكلام يا أمي!.. إذا كانت "**بيتي**" سوف تبدي مثل هذه الضجة في كل مرة أتكلم فيها مع فتاة أخرى، فإن حياتنا معاً سوف تكون حياة غريبة.

– أنتما خطيبان...

– نحن خطيبان بالفعل.. لكن ليس معنى هذا ألا يكون لنا أصدقاء.. الناس في أيامنا يعيشون حياتهم الخاصة وينسون الغيرة.. وتوقف برهة، ثم أردف قائلا:

– اسمعي.. إذا كانت "**بيتي**" لن تتعشى معنا، فأظن أنني سأعود إلى فندق "**ماريبوزا**".. إنهم طلبوا مني أن أتعشى معهم...

– آه يا "**بازيل**"! لكن الشاب صوب إليها نظرة ساخطة، ثم أسرع يهبط درجات السلم عائداً من حيث جاء... تطلعت السيدة "**تشستر**" إلى "**باركر باين**"

بنظرات تغني عن الكلام قائلة:

– هل رأيت؟ وصل الموقف إلى ذروته بعد يومين.. فقد كان من المتفق عليه أن يقوم "**بازيل**" و"**بيتي**" برحلة خلوية يأخذان فيها طعام الغداء... وعندما وصلت "**بيتي**" إلى فندق "**بينودور**" وجدت أن "**بازيل**" قد نسي الموعد تمامًا، وذهب إلى بلدة "**فورمنتون**" لتمضية النهار مع "شلة" "**دولوريس رامونا**"...

لم تفعل "**بيتي**" أكثر من أن عضت شفتيها ولم تقل شيئًا.. على أنها لم تلبث أن وقفت وواجهت السيدة "**تشستر**" وكانتا وحدهما في الشرفة وقالت:

– لا بأس.. هذا لا يهم.. لكن أظن مع ذلك أن الأفضل أن ننهي المسألة كلها..

ونزعت من أصبعها الخاتم الثمين الذي كان "**بازيل**" قد أعطاه لها قائلة:

– هلا أعطيته هذا الخاتم يا سيدة "**تشستر**"؟.. وقولي له ألا يشغل باله من ناحيتي...

– "**بيتي**" يا عزيزتي... لا تفعلي هذا.. إنه يحبك حقيقة.. فقالت الفتاة بضحكة قصيرة:

– هذا واضح تمامًا!.. أليس كذلك؟... لا... إن لي كرامتي... قولي له إن كل شيء بخير.. إنني أرجو له التوفيق..! وعندما عاد "**بازيل**" آخر النهار قبيل العاصفة.. احمر وجهه عندما رأى الخاتم وقال:

– إذن هذا هو شعورها الحقيقي!.. لا بأس.. أظن أن الخير فيما فعلت..

– "**بازيل**"!..

– أصارحك يا أمي أننا لم نكن على انسجام في المدة الأخيرة...

– وذنب من هذا؟

– لا أظن أن الذنب ذنبي.. الغيرة هي السبب.. ولا أرى لماذا تنفعلين كل هذا الانفعال بسبب هذه المسألة.. أنت نفسك رجوتني ألا أتزوج "**بيتي**"!..

– كان هذا قبل أن أعرفها.. "**بازيل**" يا حبيبي.. لا أظنك تفكر في الزواج بتلك المخلوقة الأخرى؟

فقال "**بازيل**" برصانة:

- إنني سأتزوجها في الحال لو كانت تقبلني.. لكن أخشى أنها لن تقبل...

شعرت السيدة "**تشستر**" بقشعريرة باردة تسري في كيانها كله.. وقد أخذت تبحث عن "**باركر باين**" حتى وجدته في ركن هادئ يقرأ كتاباً.. فراحت تقول له:

- لابد أن تفعل شيئاً!.. لابد أن تفعل شيئاً!.. إن حياة ابني سوف تتهدم!

والظاهر أن "**باركر باين**" بدأ يتضايق من "**بازيل**" ومن خصوصياته إذ قال لها:

- وماذا يمكنني أن أفعل؟

- اذهب وقابل تلك المخلوقة الشنيعة.. لك أن تشتريها إذا لزم الأمر...

- قد يكلف هذا ثمناً غالياً..

- لا يهمني..

- هذا مؤسف.. ومع ذلك فقد تكون هناك طرق أخرى.. فتطلعت إليه متسائلة.. فهز رأسه قائلا:

- إنني لم أعد بشيء.. لكنني سأرى ما يمكن عمله.. إنني مارست مثل هذه العملية من قبل. بالمناسبة لا تقولي كلمة واحدة لـ"**بازيل**".. وإلا كانت العاقبة وخيمة..

- بالتأكيد لن أقول أي شيء..

عاد "**باركر باين**" من فندق "**ماريبوزا**" في منتصف الليل.. فوجد السيدة "**تشستر**" ساهرة في انتظاره.. وقالت له وهي تلهث:

- خيراً؟ فأجاب وقد لمعت عيناه:

- إن الآنسة "**دولوريس رامونا**" سوف تغادر "**بولونيا**" غداً صباحاً، وتخرج من الجزيرة كلها غداً ليلا..

- أواه يا سيد "**باركر باين**"!.. كيف صنعت هذه المعجزة؟ فقال "**باركر باين**":

- ولن يكلفنا الأمر سنتيماً واحداً.. ومرة أخرى لمعت عيناه، وأضاف قائلا:

- كنت أظن أنني سأتمسك بشيء ضدها... وكان ظني في محله...

– أنت مـدهش.. كـانت "**بينا ويكر لي**" على حق!.. لابد أن تحدد لي أتعابك... فرفع "**باركر باين**" يده بحزم قائلا:

– ولا بنسًا واحدًا.. كان من السرور أن أفعل هذا.. وأرجو الآن أن يسير كل شيء على ما يرام.. وبالتأكيد سوف يحزن ابنك جدًّا عندما يجد أنها اختفت ولم تترك أي عنوان... وكل ما هو مطلوب منك هو أن تكوني لينة معه مدة أسبوع أو أسبوعين...

– يا ليت "**بيتي**" تسامحه!

– سوف تسامحه قطعًا.. إنهما اثنان لطيفان.. وبالمناسبة إنني أيضًا سأغادر الجزيرة غدًا...

– آه يا سيد "**باركر باين**".. سنفتقدك كثيرًا!..

– ربما كان من الخير أن أترك الجزيرة قبل أن يتعلق ابنك الهمام بفتاة ثالثة!..

وقف السيد "**باركر باين**" متكئًا على حاجز الباخرة يتطلع إلى أضواء "**بالما**"!.. وإلى جانبه وقفت "**دولوريس رامونا**"... ولم يلبث أن قال بلهجة التقدير:

– كانت هذه عملية محبوكة يا "**مادلين**".. يسرني أنني أبرقت إليك؛ لكي تحضري إلى هنا.. من حسن الحظ أنك تحبين الهدوء، وملازمة البيت. فقالت "**مادلين دي سارا**" أو "**دولوريس رامونا**" سابقًا:

– وأنا مسرورة لأنني أرضيتك يا سيد "**باركر باين**"... كانت هذه العملية نوعًا من التغيير بالنسبة إليَّ.. أظن أنني سأنزل الآن إلى قمرتي وأنام قبل تحرك الباخرة.. فإنني لست بحارة ماهرة..

وبعد دقائق هبطت يد على كتف "**باركر باين**".. وعندما التفت رأى "**تشستر**" بجانبه... قال له الشاب:

– كان لابد أن أحضر؛ لكي أودعك يا سيد "**باركر باين**" وأعبر لك عن شكري أنا و"**بيتي**".. كان هذا عملا جريئًا من جانبك... إن "**بيتي**" وأمي الآن على أتم انسجام ووفاق، كنت أعتقد أنه من المخجل أن أخدع الأم العزيزة، لكنها كانت صعبة جدًّا.. على أي حال كل شيء الآن على ما يرام وكل ما هو مطلوب مني الآن

هو أن أتظاهر بالاستياء والكدر يومين آخرين.. إنني و"**بيتي**" ممتنان لك كل الامتنان.. فقال "**باركر باين**":

– أتمنى لكما كل السعادة..

– شكراً من أعماق القلب أيها الساحر العظيم!

وساد الصمت برهة... ثم ما لبث أن قال بلهجة لا مبالاة مصطنعة:

– هل الآنسة.. الآنسة "**دي سارا**" موجودة هنا؟.. أود أن أشكرها أيضًا...

صوب إليه "**باركر باين**" نظرة حادة، وقال:

– أظن أن الآنسة "**دي سارا**" ذهبت للنوم!..

– آه! هذا من سوء الحظ.. ربما يمكن أن أراها في "**لندن**" في يوم من الأيام...

– الحقيقة أنها مسافرة إلى "**أمريكا**" في مهمة كلفتها بها...

– أوه... لا بأس! سأذهب الآن..

ابتسم "**باركر باين**".. وفي طريقه إلى قمرته نقر على باب قمرة "**مادلين**"، وقال لها:

– كيف حالك يا عزيزتي؟.. بخير الآن؟.. كان صديقنا الشاب هنا... أصابته النوبة المادلينية المعتادة!.. سوف يشفى منها بعد يوم أو يومين! لكنك فتاكة حقيقة..! أتمنى لك نومًا مريحًا بعد هذه المؤامرة الصغيرة الناجحة!..

◆◆◆◆◆

السيدة الحزينة

جلس السيد "**باركر باين**" صاحب (مكتب "**باركر باين**" للسعادة) في مكتبه يتصفح جرائد الصباح. لم يكن في الجرائد شيء ذو بال فوضع "**باركر باين**" الجرائد على المكتب وهم أن يستدعي سكرتيرته بالتليفون ليسألها عما إذا كان أحد قد طلب مقابلته، وقبل أن يرفع السماعة فوجئ بالتليفون يدق، وإذا بالسكرتيرة تخبره بالتليفون.

« سيدة شابة تطلب مقابلتك يا سيدي ». فسألها:

– هل لها موعد سابق؟ فأجابت بالنفي فأمرها بأن تسمح لها بالدخول.

وبعد لحظات كان باب المكتب يدق، ودخلت المرأة. نهض "**باركر**" مرحبًا وصافح زائرته، ثم قال:

– تفضلي بالجلوس يا سيدتي.

جلست المرأة وهي ما تزال تنظر إلى صاحب المكتب. كانت صغيرة السن جدًّا، سوداء الشعر، جميلة، جذابة الملامح، أنيقة الهندام، ولكنها كانت تبدو في حالة عصبية بالغة. سألته:

– هل أنت السيد "**باركر باين**"؟ فأومأ لها بالإيجاب مبتسمًا. سألته مرة أخرى:

– هل أنت الذي يعلن عن.. عن السعادة في الجرائد؟ فأومأ لها بالإيجاب مرة أخرى. فقالت:

– إن إعلاناتك تقول إن الإنسان إذا كان غير سعيد فإنه يجب أن يقصدك.

فقال: تمامًا.

فاستجمعت الزائرة شجاعتها وقالت: « أنا في تعاسة بالغة ولذلك جئت إليك لكي.. لكي أرى ».

ثم أخذت تفرك يديها في عصبية وهي لا تدري ماذا تقول.

قال لها "**باركر باين**" في عطف: ألا تستطيعين مصارحتي بمشكلتك؟

فقالت: بلى بلى هذا ما جئت من أجله. يجب أن أخبرك بكل شيء. إنني أكاد

أفقد عقلي من الحزن والقنوط، كنت لا أدري ماذا أفعل أو بمن أثق، ثم طالعت إعلانك في الجرائد. ولقد تصورته في البداية نوعًا من النصب، ثم فكرت أنه لا يضيرني في شيء أن آتي إليك وإذا لم أثق بك فإنني أستطيع دائمًا أن أنسحب. أليس كذلك؟

فقال "**باركر باين**" : بالتأكيد. بالتأكيد.

قالت المرأة: قد يكون ذلك غريبًا وغير معقول، ولكنني فعلا أشعر أنني أستطيع أن أثق بك.

قال "**باركر باين**" : تأكدي يا سيدتي أن ثقتك بمحلها.

فقالت المرأة: حسنًا إليك مأساتي اسمي "**دافن سانت جون**" .

فاعترضها "**باركر باين**" : الآنسة "**دافن سانت جون**" ؟

فأجابت: بل السيدة "**دافن سانت جون**" . أنا متزوجة.

فقال "**باركر باين**" : حقًا ما أغباني! كان يجب أن ألاحظ الخاتم الذي في أصبعك.

قالت "**دافن**" : ليتني لم أكن متزوجة. لو لم أكن متزوجة لما كانت مأساتي تهمني إلى هذه الدرجة، ولكني حزينة من أجل "**جيرالد**" هذا هو لب المأساة.

ثم فتحت حقيبتها وأخرجت منها خاتمًا ألماسيًا ثمينًا وضعته أمام "**باركر باين**"

تناول "**باركر باين**" الخاتم وفحصه بيد خبير ثم قال:

« هذا خاتم رائع! إنه يساوي على الأقل 2000 جنيه ».

فقالت "**دافن**" : نعم، ولكنه خاتم مسروق أنا التي سرقته.

قال "**باركر باين**" : هذا شيء غريب جدًا.

وفجأة انخرطت "**دافن سانت جون**" في نوبة بكاء حادة فأخذ "**باركر باين**" يرفه عنها ويقول لها: اطمئني، سوف يكون كل شيء على ما يرام. فأخذت تنشج باكية: هل هذا معقول؟ هل هذا معقول؟

فأجاب "**باركر باين**" : معقول جدًا. أخبريني بالقصة كاملة وسوف ترين.

تمالكت المرأة الحزينة نفسها وجففت دموعها، ثم بدأت تحكي قصتها. قالت:

السبب كله إسرافي الزائد. أنا امرأة مسرفة جدًا وإسرافي يضايق "**جيرالد**" زوجي.

وقد اضطرني إسرافي إلى الاستدانة بدون علم زوجي. ثم حاولت تسديد ديوني عن طريق لعب القمار ولكني خسرت، ثم خسرت، ثم خسرت.

قال "**باركر باين**": حسنًا.. أعرف جيدًا مساوئ القمار ولكن استمري في قصتك من فضلك.

قالت "**دافن**": وصلت في ديوني إلى حد يستحيل عليّ فيه أن أخبر "**جيرالد**" بشيء، وظللت أتألم في وحدة وصمت، ومنذ أيام ذهبت مع زوجي لقضاء بضعة أيام عند عائلة "**دورتيمر**" في "**كوبهام**" وهي عائلة غنية جدًا والزوجة واسمها "**نعومي**" كانت زميلتي في المدرسة وهي شابة جميلة ورقيقة. وهذا الخاتم هو ملكها في الواقع. وفي أثناء إقامتنا هناك تخلخل فص الخاتم الألماسي فرجتني "**نعومي**" أن أحمل الخاتم معي عند عودتي إلى "**لندن**"؛ لكي أسلمه إلى صائغها الخاص في "**بوند ستريت**".

وهنا توقفت "**دافن**" عن الكلام فاستحثها "**باركر باين**" فقالت:

– هل تقسم لي على ألا تفشي هذا السر؟ فقال "**باركر باين**":

– مستحيل طبعًا، وفضلا عن ذلك أنت أخبرتني بالكثير حتى الآن مما يستحيل عليك التراجع فيه.

فقالت "**دافن**":

– أنت على حق في هذا. ولكني فقط أشعر بخجل شديد من نفسي. على كل حال لقد ذهبت إلى "**بوند ستريت**"، ولكني لم أذهب إلى صائغ "**نعومي**". ذهبت أولا إلى صائغ آخر متخصص في تقليد الجواهر. طلبت من هذا الصائغ أن يصنع لي نسخة أخرى طبق الأصل من خاتم "**نعومي**". وبعد أيام تسلمت الخاتم المقلد فإذا به لا يكاد يفترق في شيء عن الخاتم الأصلي.

احتفظت لنفسي بالخاتم الأصلي وأرسلت الخاتم الزائف إلى صديقتي "**نعومي**" قائلة لها تم إصلاحه. تصور مدى حقارتي يا سيد "**باركر باين**"!! لقد سرقت صديقتي التي ائتمنتني. أنا لصة وضيعة!!

كفت "**دافن**" عند ذلك عن الكلام فانتظر "**باركر باين**" لحظات ثم قال:

– أعتقد أن القصة لم تكتمل بعد. أليس كذلك؟ فتنهدت "**دافن**" وقالت:

– نعم، لم تنته القصة بعد. لقد حدث ذلك كله منذ ستة أسابيع. لقد رهنت الخاتم الألماسي وسددت ديوني كلها، ولكني تعيسة في أعماقي وفجأة توفيت قريبة ثرية وتركت لي ثروتها، وأصبحت غنية. وكان أول ما فعلته هو أنني فككت الرهن واستعدت الخاتم ولكن شيئًا خطيرًا حدث. قال "**باركر باين**":

– ماذا حدث؟ أجابت "**دافن**":

– لقد نشأ خلاف بيننا وبين عائلة "**دورتيمر**" وهكذا استحال عليّ أن أعيد الخاتم إلى "**نعومي**".

قال "**باركر باين**":

– لم لا ترسلين إليها الخاتم في طرد مسجل بدون توقيع؟ أجابت "**دافن**":

– في هذه الحالة سوف تفحص "**نعومي**" الخاتم الزائف وتكشف القصة كلها. قال:

– أنت تقولين إنها صديقتك. لماذا لا تخبرينها بالحقيقة كلها وتطلبين منها الصفح؟ فأجابت "**دافن**":

– أوه! لسنا صديقتين إلى هذا الحد، من الجائز أنها سوف تصفح عني ولا تبلغ البوليس، ولكنها سوف تخبر كل شخص تعرفه في "**إنجلترا**" وبذلك يصل كل شيء إلى "**جيرالد**" زوجي وربما طلقني أوه.. الموضوع معقد جدًا. ثم بدأت تبكي من جديد وتصيح:

– لقد فكرت مرارًا وتكرارًا بدون أن أجد حلا.. أوه! ألا تستطيع أن تساعدني يا سيد "**باركر باين**" أليست هناك وسيلة؟ فأجاب "**باين**":

– بل هناك عدة وسائل. فأشرق وجهها وسألت:

– حقًا. ماذا؟ قال "**باين**":

– أخبريني أولا. هل هناك من يعرف بهذا الموضوع غيرك؟ قالت:

– لا أحد غيرك. قال:

– أنا لا أهم. حسنًا سرك الآن في مأمن، والمطلوب هو استبدال الخاتمين الزائف بالأصلي في سرية تامة. قالت "**دافن**" :

– نعم. نعم. قال "**باين**" :

– هذا ليس شيئًا صعبًا وفقط سوف يتطلب بعض الوقت لتدبير الخطة المناسبة. فقاطعته:

– ولكن ليس هناك وقت وهذا ما يدفعني إلى الجنون.

– لقد سمعت من صديقة أن "**نعومي**" بصدد تغيير فص الخاتم هذه الأيام. قال "**باين**" :

– إذن يجب أن نتصرف بسرعة. قالت "**دافن**" :

– نعم بأقصى سرعة. قال "**باركر باين**" مفكرًا:

– المطلوب أولا هو دخول المنزل وبطريقة غير ملحوظة، ولكن ما هي مناسبة الدخول؟ قالت "**دافن**" :

– أنا أعرف أن "**نعومي**" سوف تقيم حفلة كبيرة يوم الأربعاء القادم وأنها الآن بصدد البحث عن راقصين محترفين لإحياء الحفل. لا أعلم ماذا تم بالضبط بخصوص ذلك. قال "**باين**" بسرعة:

– آه هذه فكرة جميلة! إذا كانت قد اتفقت مع راقصين فعلا فإن ذلك سوف يفيدنا أكثر، هذا كل ما في الأمر.

أخبريني يا سيدة "**دافن**" ، هل تعرفين مكان فيشات الكهرباء في منزل عائلة "**دورتيمر**"؟ أرجو أن ترسمي لي خريطة دقيقة.

فرسمت له خريطة للصالة ودولاب الفيشات، وأخذ "**باين**" الخريطة وقال لها:

– اطمئني الآن سوف يمضي كل شيء على ما يرام لعلك تفضلين الاحتفاظ بالخاتم حتى يوم الأربعاء.

فترددت قليلا ثم قالت:

– أفضل أن أحتفظ به حتى يوم الأربعاء. قال "**باين**" :

– كما تشائين ولكن أرجو أن تنزعي من نفسك كل أثر للقلق فسوف أحل

مشكلتك تمامًا. قالت "**دافن**" :

– ماذا بخصوص أجر خدماتك؟ قال "**باين**" :

– أوه! لا داعي لذلك الآن. سوف أخبرك فيما بعد بما أنفقته في هذا الموضوع. وتأكدي أنه سوف يكون شيئًا بسيطًا. فقامت "**دافن**" من مكانها وهي تشكره واصطحبها هو إلى الباب مودعًا وظل واقفًا حتى انصرفت ثم دق الجرس لسكرتيرته، وقال لها :

– ارسلي لي "**كلود**" و"**مادلين**" فوراً.

وبعد دقائق جاء "**كلود**" و "**مادلين**" تلبية لأمر مخدومهما. أما "**كلود**" فكان شابًا فائق الجاذبية والرشاقة، وأما "**مادلين**" فكانت ساحرة رائعة الجمال. قال لهما "**باين**" :

– أصغيا إليّ... عندي لكما عمل صغير سوف تؤديان دور راقصين محترفين في حفلة كبيرة. ثم شرح لهما "**باركر باين**" بعض تفاصيل خاصة بتنفيذ الخطة وبعد ذلك انصرفا لتنفيذ المطلوب. وجاء يوم الأربعاء وظهرت السيدة "**نعومي دورتيمر**" في غاية السعادة لنجاح حفلتها وأخذت تنتقل من مكان لآخر كالفراشة الجميلة السعيدة وهي تعطي الأوامر لهذا الخادم وذاك.

لم يكن هناك عيب في الحفلة إلا اعتذار الراقصين المفاجئ وإن كان المتعهد وعدها بإرسال راقصين آخرين قال عنهما إنهما نجحا نجاحًا هائلا في "**باريس**". وفي النهاية وصل الراقص والراقصة وأعجبت "**نعومي**" بجمالهما ورشاقتهما وسارت الحفلة على خير ما يرام وأبدع الراقص وزميلته في تقديم رقصات إسبانية باهرة.

وبعد ذلك اندمج جميع الحاضرين في الرقص وسط الأضواء الرائعة الملونة، والموسيقى الشجية. وفي أثناء الرقص تقدم الراقص المحترف الوسيم "**كلود**" إلى "**نعومي**" وطلب منها أن تراقصه ثم احتواها بين ذراعيه. ودار بها في الصالة وكأنهما يطيران فوق السحب. أما السيد "**دورتيمر**" زوج "**نعومي**" كان يبحث عن الراقصة الساحرة "**مادلين**"؛ لكي يراقصها بدوره لكنه لم يجدها وكيف له أن يجدها وهي مختفية في نهاية الصالة بجوار دولاب الفيشات وعيناها على ساعتها

الذهبية في انتظار إشارة ما.

أما "**كلود**" فكان يقول لـ"**نعومي دورتيمر**": أنت لست إنجليزية، من المستحيل أن تكوني إنجليزية وترقصي بهذه الرشاقة والخفة. ثم همس في أذنها:

– أنت روح العاصفة. "**دروشكا بتروفكا نافاروتشي**". ضحكت "**نعومي**" وقالت:

– ما هذه اللغة؟ قال "**كلود**":

– اللغة الروسية. إنني أقول لك بالروسية ما لا أجرؤ على قوله بالإنجليزية!!

فهمت "**نعومي**" مرمى كلامه وأغمضت عينيها في هناءة بالغة واستمر الرقص و"**كلود**" يحتضنها بين ذراعيه ويقربها من صدره طول الوقت.

وفجأة انطفأت الأنوار مرة واحدة. وفي الظلام الدامس انحنى وقبل يد "**نعومي**" وحاولت "**نعومي دورتيمر**" أن تسحب يدها في دلال ولكن "**كلود**" تمسك باليد ورفعها إلى شفتيه مرة أخرى ودون أن تشعر "**نعومي**" كان خاتمها الألماسي يفارق يدها وينتقل إلى يد "**كلود**". وبعد لحظات عادت الأنوار وأفاقت "**نعومي**" من حلمها البهيج. وقال لها "**كلود**" مبتسماً:

– إليك خاتمك يا سيدتي العزيزة لقد انزلق من يدك وأنت لا تشعرين. هل تسمحين لي بأن أعيده إلى مكانه؟

قال هذا ثم وضع الخاتم في أصبعها وهو يسلط عينيه على عينيها. وفي نفس الوقت كان السيد "**دورتيمر**" يقول:

– من المسؤول عن إطفاء الأنوار؟ لابد أنه شخص ذو مزاج من النوع الثقيل!!

ولكن "**نعومي**" لم تسمع كلامه. لقد كانت دقائق الظلمة هذه هي أجمل فترة في حياتها كلها وفي صباح الخميس وصل السيد "**باركر باين**" إلى مكتبه ليجد السيدة "**دافن سانت جون**" في انتظاره. قالت له بلهفة:

– حسناً ماذا فعلت؟ قال لها في لوم:

– أنت تبدين شاحبة!! قالت:

– أوه! إنني لم أنم جيداً البارحة. كنت أتساءل ما إذا كنت ستنجح أم لا!! فلم

يرد "**باركر**" وإنما أخرج من جيبه ورقة وقلمًا وأخذ يقرأ منها:

« هذه هي قائمة أجر خدماتي. تذاكر القطار 50 جنيهًا لكل من "**كلود**" و"**مادلين**"، وهذا يجعل الأجر كله 65 جنيهًا و17 شلنًا. قالت "**دافن**":

– حسنًا.. حسنًا ولكن ماذا حدث؟ هل نجحت؟ فنظر إليها "**باين**" في دهشة وقال:

– يا سيدتي العزيزة بالتأكيد نجحت. هذا أمر لم أتوقع مطلقًا أن يكون محلا للشك. فتنهدت المرأة في سعادة وقالت:

– الحمد لله.. لقد كنت أخشى. فقال "**باين**" في كبرياء:

– الفشل لا وجود له في قاموسي يا سيدتي العزيزة أنا لا أقبل قضية إلا إذا كنت واثقًا بنجاحها. وإذا قبلت فإن ذلك معناه بالتأكيد نجاحي فيها. قالت "**دافن**":

– هل استردت "**نعومي**" خاتمها دون أن تشك في شيء؟ قال "**باين**":

– على الإطلاق. لقد تمت عملية الاستبدال بشكل رائع. فقالت "**دافن**":

– أنت لا تتصور مدى راحة الضمير التي أشعر بها الآن!! ماذا كنت تقول بخصوص أجرك؟ فقال "**باين**":

– 65 جنيهًا و17 شلنًا.

ففتحت "**دافن**" حقيبتها وأخرجت منها بسرعة المبلغ المطلوب فتناوله "**باين**" وأحصاه بهدوء ودقة ثم وضعه في الدرج وكتب لها إيصالا بالمبلغ وسلمه لها. قالت "**دافن**" في دهشة:

– ولكن ماذا بخصوص أجرك أنت؟ إن هذا المبلغ هو مصاريف القطار والراقصين ما هو أجرك أنت؟ فهز رأسه وقال:

– أنا لا أتقاضى أجرًا في قضيتك. فاعترضت "**دافن**":

– ولكن لا يا سيد "**باين**".. أنا لا أستطيع. فأصر "**باين**" قائلا:

– لا.. لا لن آخذ شلنًا واحدًا. هذا شيء ضد مبادئي.. والآن..!!

وارتسمت على وجهه ابتسامة كابتسامة الساحر الماهر وأخرج من جيبه علبة صغيرة من القطيفة ووضعها أمام "**دافن سانت جون**". فتحتها المرأة فوجدت الخاتم

الألماسي يلمع وسطها. تأملته لحظة ثم صرخت في حقد شديد:

– أيها الحيوان البغيض. كم أمقتك. كم أتمنى لو أنشب أظفاري في عنقك!

فقال "**باين**" في هدوء:

– هذا يوقع بك في مسؤولية جنائية إذا ما ذهب الخاتم. قالت "**دافن**" وصدرها يعلو ويهبط في عصبية شديدة:

– هل أنت واثق بأن هذا الخاتم ليس هو الخاتم الأصلي؟ فقال "**باين**":

– بالتأكيد لا. الخاتم الذي أعطيته لي منذ أيام هو الآن في حوزة "**نعومي دورتيمر**".. فقالت "**دافن**" وهي تتمالك نفسها:

– إذن فإن كل شيء على ما يرام. فقال "**باين**":

– أنا سعيد لسعادتك وأحب أن أوضح لك أن "**كلود**" المسكين لا يدري شيئًا عن الجواهر الثمينة، وقد خفت أن يتخبط بين الخاتم الأصلي والخاتم الزائف ولذلك فإنني عرضت هذا الخاتم على خبير خاص هذا الصباح. فقالت "**دافن**":

– وماذا قال؟ قال "**باين**":

– قال إنه خاتم زائف، ولكنه رائع فأرجو أن يرتاح ضميرك هذا!!

حاولت "**دافن**" أن تتكلم،ولكنها لم تستطع واستمرت تنظر إلى "**باين**". أما "**باركر باين**" فإنه اضطجع في جلسته وهو ينظر إليها في هدوء، ثم قال:

– إن دور القطة التي حاولت أن تخطف أبو فروة من النار دور لا يناسبك يا فتاتي العزيزة، والآن دعيني أحكي لك قصة قصيرة. يحكى أنه كانت هناك فتاة صغيرة شقراء واسمها ليس "**دافن سانت جون**" بل اسمها "**ايرنستين ريتشارد**"، وكانت تشتغل سكرتيرة عند السيدة "**نعومي دورتيمر**" حتى فترة قصيرة.

ثم حدث أن السيدة "**دورتيمر**" أرادت إصلاح خاتمها فسلمته إلى سكرتيرتها "**ايرنستين**" وطلبت منها أن تأتي به إلى الصائغ في "**لندن**"، وفي الطريق فكرت "**ايرنستين**" في الاحتفاظ بالخاتم لنفسها فدبرت الخطة الذكية لتقليد الخاتم وصنع نسخة زائفة منه، ولكن بدلا من مجرد إعطاء الخاتم الزائف إلى السيدة "**دورتيمر**" فكرت في طريقة أكثر ذكاء فوضعت على رأسها باروكة سوداء وقصدت مكتبي

وقدمت لي نفسها على أنها السيدة "**دافن سانت جون**" واخترعت لي قصة جميلة مؤثرة ولكي تضمن إقناعي أرتني الخاتم الأصلي. وبعد ذلك عادت السكرتيرة المغامرة إلى الصائغ وسلمته الخاتم الأصلي فأعاده بدوره إلى صاحبته "**نعومي دورتيمر**".

ثم جاء يوم الأربعاء الموعود وجاءت السيدة "**دافن سانت جون**" في آخر لحظة وسلمتني الخاتم الزائف على أنه الخاتم الأصلي وهي تضمن أنني لن أجد الوقت لكي أفحص الخاتم وأتأكد أنه زائف. ولكني كنت أكثر ذكاء من "**دافن سانت جون**" فاتفقت من قبل مع صديق خبير في الجواهر على أن يكون موجوداً في المكتب لآخر لحظة، وقد فحص الصديق الخبير الخاتم وأكد لي أنه زائف وكان هذا مصداقًا لشكوكي السابقة.

ثم سار كل شيء كالمتفق عليه. ذهب "**كلود**" و"**مادلين**" إلى الحفل وراقص "**كلود**" السيدة "**نعومي دورتيمر**" وانتهز فرصة الظلمة التي خلقتها زميلته "**مادلين**" ثم انتزع الخاتم الأصلي من يد "**نعومي**". وهكذا إذا حدث في المستقبل واكتشفت "**نعومي دورتيمر**" سرقة خاتمها فإنها لن تذكر إلا الراقص الإسباني ولن تتهم غيره. وإذا تتبع البوليس آثار الراقص الإسباني فإنه سوف يصل بالضرورة إلى مكتبي، وسوف أقع أنا تحت طائلة الاتهام لأنه سوف يتضح أنه لا توجد سيدة باسم السيدة "**دافن سانت جون**" وسوف يبدو دفاعي سخيفًا أمام البوليس. وبذلك يتلوث اسمي النظيف وتنهار سمعتي كلها. وهذا شيء لم يكن في إمكاني أن أسمح به. أليس كذلك؟

وهكذا فإنه بعد إعادة الأنوار أعاد "**كلود**" الخاتم الأصلي إلى "**نعومي دورتيمر**". الخاتم الأصلي الذي نزعه من يدها في أثناء الظلام. ولهذا لم آخذ أجراً يا سيدتي العزيزة. إنني أتقاضى الأجر لكي أجعل الناس سعداء، ومن المؤكد أنني لم أجعلك سعيدة، ولكني سأقول لك شيئا واحداً. أنت شابة صغيرة وربما كانت هذه القضية هي أول عهدك بالنصب والاحتيال وأملي أن تكون هي الأخيرة؛ لأن الجريمة لا تفيد إطلاقًا.

كانت "**دافن سانت جون**" تستمع إليه والدماء تتصاعد إلى وجهها وصدرها يرتفع في عصبية وقنوط وعندما انتهى من كلامه نهضت واقفة في كبرياء عنيفة، وقالت له:

– أيها الوضيع الخبيث الحقير. لقد استدرجتني وجعلتني أصدق كلامك وأدفع لك مصاريف الكلاب التي تعمل معك.. أنت.. أنت.. ولم تستطع أن تكمل كلامها فأسرعت نحو الباب.

استوقفها "**باركر باين**" قائلا:

– لا تنسي خاتمك. فانتزعت الخاتم من يده ثم نظرت إليه لحظة وألقته خارج النافذة. وخرجت وصفقت الباب خلفها. أما "**باركر باين**" فإنه وقف لحظة متأملا ثم عاد إلى مكتبه وتناول القلم وشطب من دفتر قضاياه قضية السيدة الحزينة.

◆◆◆◆◆

الجريمة والعقاب

هبطت السيدة الأنيقة من السيارة ونقدت السائق أجره. ثم سارت بضع خطوات لتصل إلى البيت الذي تقصده. كانت تمشي ببطء، مشية المرأة التي تشعر بفتنتها وجاذبيتها وتود أن يرى الجميع كم هي أنيقة وجميلة وفتية.. كانت في نحو الثلاثين من عمرها.. طويلة القامة، بارزة الصدر، نحيلة الخصر، لها وجه مشرق، وعينان زرقاوان يتألق فيهما بريق الذكاء والحيوية.. وكان البيت الذي دخلته حديث البناء، ولكن مصعده كان معطلا فارتقت درج السلم ببطء، ووقفت أمام باب الطابق الخامس. وضغطت زر الجرس وانتظرت.. ولكن الباب لم يفتح، ولم يصدر من داخل الشقة أي صوت يشعر بوجود أحد فيها.

وهزت السيدة الفاتنة رأسها بمزيج من الدهشة والضجر.. ثم دقت الباب بقبضة يدها وصاحت:

– ألا يوجد أحد هنا؟ وأصاخت السمع.. ولكن لا حركة.. ولا جواب.. واستدارت لتعود من حيث أتت.. ثم ترددت وعادت إلى الباب ودفعته بيدها ففتح. وقفت بعتبة الباب وصاحت:

– "**باتريشيا**".. "**مايكل**"؟.. أين أنتما؟ ولكنها لم تسمع جوابًا فدخلت وأغلقت الباب. كانت شقة صغيرة من الطراز الحديث تتألف من: صالة فسيحة في صدرها نافذة عريضة تبدو منها أسطح البيوت المجاورة.. وإلى يسارها باب يؤدي إلى مطبخ صغير، وإلى يمينها باب يؤدي إلى الشرفة.. وبابان آخران يؤديان إلى غرفة النوم والحمام.

طافت السيدة بأرجاء المكان وأدهشها أنها لم تجد أحداً.. فخلعت قفازها ووضعته في حقيبتها، ووضعت الحقيبة على مقعد في الصالة.. وخلعت شملة الفرو التي كانت تلف بها عنقها ووضعتها على مسند المقعد، ومدت يدها إلى صندوق سجائر مصنوع من الخشب ومرصع بالصدف، كان فوق المائدة ففتحته، ولكنها وجدته فارغًا، فأخرجت علبة سجائر من حقيبتها وتناولت لفافة أشعلتها

بقداحة ذهبية، وراحت تدخن وتختال ببطء في الصالة.. ثم وقفت أمام عصفور في قفص في أحد الأركان وراحت تتأمله في فضول. وبعد قليل نظرت في ساعتها، وهزت رأسها في عجب وتمتمت قائلة:

– هذا عجيب!! أي تصرف هذا!!

وعندما همت بالانصراف، سمعت حركة في الخارج كما لو كان هناك من يعبث بقفل الباب، ثم صوتًا يهتف في دهشة:

– عجبًا.. إنه مفتوح.

ودخلت سيدة في الحلقة الثالثة من عمرها، وبيدها المفتاح الذي كانت تعبث به في القفل، وما إن وقع بصرها على المرأة الأنيقة حتى صاحت:

– "**ساندرا**".. أنت هنا؟ وصاحت "**ساندرا**":

– "**جنيفر**"!! إنني لم أرك منذ دهر.

– ماذا جاء بك يا "**ساندرا**"؟

– لقد بكرت بالحضور مثلك.. إنه لحرج حقًّا أن يذهب الإنسان إلى حفل قبل موعده المحدد.

– عن أي حفل تتكلمين يا "**ساندرا**"؟ حفل من؟

– إنه ليس حفلا بالمعنى المفهوم.. إنه مجرد سهرة لتناول الشراب. فبدت الدهشة على وجه "**جنيفر**" وسألت:

– هل دعيت لتناول الشراب هنا اليوم؟

– ولم لا؟ إنني دعيت مثلما دعيت أنت. فقالت "**جنيفر**" وهي تشيح بوجهها:

– ليس تمامًا..

– ماذا تعنين؟ هل ثمة ما يمنع "**باتريشيا تورانس**" وزوجها من أن يدعواني لتناول الشراب؟

– كلا.. لا مانع إطلاقًا.. إذا كانا في "**إنجلترا**".

– هل تعنين أنهما ليسا في "**إنجلترا**"؟

فأومأت "**جنيفر**" برأسها علامة الإيجاب وقالت وهي تضع حقيبتها على المائدة،

وتجلس على أحد المقاعد:

- إنهما في "**فرنسا**". ففتحت "**ساندرا**" عينيها الساحرتين في دهشة وهتفت قائلة:

- ولكن "**باتريشيا**" اتصلت بي تليفونيًّا يوم الثلاثاء.. أمس الأول. فقالت "**جنيفر**" ساخرة:

- أحقًّا؟

- نعم..

- كلا يا عزيزتي.. كان يحسن بك أن تقولي كلامًا معقولا إن الكذب لا يقف طويلا على قدميه..

- ماذا تعنين؟ فقالت "**جنيفر**" وهي تبتسم بخبث:

- أكبر الظن أنك أقنعت "**باتريشيا**" بأن تعيرك المفتاح إنك ما جئت إلى هنا الآن إلا لمقابلة أحد الأشخاص.. فمن هو؟ هل ستذكرين لي اسمه أم يجب أن أخمنه؟

- ما هذا الهذيان يا "**جنيفر**"؟ قلت لك إن "**باتريشيا**" اتصلت بي تليفونيًّا ودعتني للحضور.

فقالت "**جنيفر**" وهي تتناول حقيبتها:

- كلا.. كلا يا عزيزتي.. دعك من هذا الكلام.. وفكري في مبرر آخر أقرب إلى العقل والمنطق..

ثم أرسلت بصرها نحو قفص العصفور واستطردت قائلة:

- قولي مثلا إنها طلبت منك أن تطعمي العصفور وتعني به في غيابها.

- الواقع أنها حدثتني عن العصفور. فقالت "**جنيفر**" ضاحكة:

- ولكنها اتفقت معي على أن أطعمه وأرعاه ثم أخرجت من حقيبتها كيسًا صغيراً من الورق وقالت:

- لابد أن ذاكرة "**باتريشيا**" قد أصابها الوهن لكي تكلفنا معًا بنفس الشيء. فقالت "**ساندرا**" وهي تتناول حقيبتها وشملتها:

- الحق يا "**جنيفر**" أنك..

- لا تغضبي فما أردت إلا معاتبتك.. الحق أنني سعيدة بلقائك بعد هذا الوقت الطويل.. ولكن أصدقيني، من هو الشخص السعيد الذي جئت لمقابلته؟ واطمئني فإنني أعرف كيف أكتم السر.

فقالت "**ساندرا**" وهي تطفئ سيجارتها:

- الحق أنك لا تطاقين يا "**جنيفر**".

- لا تفقدي أعصابك يا جميلتي.. إن ما يدهشني حقًّا هو أن تقدم إليك "**باتريشيا**" هذه الخدمة وتترك لك شقتها... إن ما أعرفه عنها أنها لا تجامل أحداً.. وأكبر الظن أنها استوردت هذه الصفة من الخارج فهي كثيرة الأسفار كما تعلمين. وقد أقامت فترات طويلة في مناطق نائية بالمستعمرات البريطانية.

قالت ذلك وجثت على الأرض بجوار "**ساندرا**" واستطردت قائلة بلهجة فيها من الخبث أكثر مما فيها من الدعابة:

- تكلمي يا جميلتي.. وأخبريني.. من هو الطرف الثاني في مغامرتك الجديدة؟

- أؤكد لك أنه ليست لي أية مغامرة مع أي إنسان.

- إذن ماذا جاء بك إلى شقة آل "**تورانس**" بينما هما في "**فرنسا**"؟ أتعتقدين أنني من الغفلة بحيث أصدق مزاعمك عن سهرة تناول الشراب؟

- لابد أنني لم أسمع جيداً.. أو أن تكون الخطوط التليفونية قد تشابكت فهذا أمر كثير الحدوث... ومن المحتمل أن تكون "**باتريشيا**" قد أخطأت وأن يكون موعد السهرة في الأسبوع القادم.. ولكني أؤكد لك مرة أخرى أنني جئت وأنا أتوقع أن أجد هنا حفلا وأصدقاء وصديقات.

- أحقًّا أنك لا تنتظرين مقابلة أحد هنا؟ فاستدارت "**ساندرا**" لتواجه صديقتها وقالت:

- الشخص الوحيد الذي أنتظر لقاءه هنا هو "**جون**".

- زوجك؟

– نعم.. فقد قال إنه سيلحق بي إلى هنا بمجرد فراغه من عمله.

– إنه إنسان مهذب ولطيف.. أليس كذلك؟

– ذلك ما أعتقده.

– ثم إنه هادئ وديع لا يسيء الظن بأحد.. وأهم من ذلك كله.. أنه يحبك حبا كثيراً.. أليس كذلك؟

فأجابت "**ساندرا**" في إيجاز:

– إنه لا يكرهني.

– يا للتواضع! وهل بين الرجال من يكرهك؟ فقالت "**ساندرا**" لتغير موضوع الحديث:

– أليس من الأفضل أن تعجلي بإطعام العصفور إذا كان ذلك حقًّا ما جئت من أجله؟ فقالت "**جنيفر**" وهي تنهض:

– "**ساندرا**".. هل تريدين أن تقولي إن إطعام العصفور ليس الغرض الحقيقي من قدومي.. وإنني جئت لمقابلة شخص ما؟

– كلا بالتأكيد.. إن ذلك لم يخطر لي ببال.

◆◆◆◆◆

وكان في صدر الصالة صندوق خشبي كبير فجلست "**جنيفر**" عليه وفتحت قفص العصفور، وتناولت طبقًا صغيراً كان بداخله، وأفرغت فيه محتويات كيس الورق، ثم أعادته إلى مكانه في القفص.

قالت بطريقتها الخبيثة :

– إنني لا أفهم هذه الرحلات التي تقوم بها "**باتريشيا**" وزوجها بين آن وآخر.. إنهما يعودان دائماً بعدد كبير من التحف والتذكارات الغربية.. وصدقيني.. إنني سرقت مرة منفضة سجائر من فندق "**كارلتون**" بمدينة "**كان**" الفرنسية.. ولم أغفر ذلك قط لنفسي.

ولكن لماذا أحضرا عصفوراً واحداً ولم يحضرا عصفورين ؟

انظري إلى الطائر المسكين . . . إنه ينظر حوله في حزن باحثاً عن أليف .

يا إلهي . . لقد شرب آخر نقطة من الماء .

وفتحت باب القفص وأخرجت صحفة الماء وانطلقت بها إلى المطبخ .

أما "**ساندرا**" فإنها أشعلت لفافة تبغ . . وسارت إلى الشرفة ببطء وراحت تطل منها .

وملأت "**جنيفر**" الصحفة بالماء ووضعتها في القفص وحانت منها التفاته فرأت "**ساندرا**" في الشرفة فصاحت بها .

– ماذا تفعلين أيتها العزيزة ؟ هل تتوقعين عودة "**باتريشيا**" وزوجها ؟ قلت لك إنهما في "**فرنسا**" .

ثم تنهدت وأردفت :

– هأنذا قد فرغت من مهمة هذا اليوم وسأذهب الآن . . إلى اللقاء يا "**ساندرا**" .

فعادت "**ساندرا**" من الشرفة وقالت وهي تتناول حقيبتها :

– لا فائدة من بقائي هنا سأذهب معك .

– وزوجك إنه سيأتي ؟

وفي هذه اللحظة ، دق جرس الباب الخارجي ، فصاحت "**جنيفر**" .

– ها قد جاء . .

وهرولت إلى الباب وفتحته ، لتجد نفسها وجهاً لوجه أمام رجل في نحو الثامنة والثلاثين من عمره . . أنيق الثياب أرستقراطي المظهر . . سمح الوجه له عينان مرحتان .

قال وهو يخلع قبعته :

– طاب يومك يا سيدتي .

ولمحته "**ساندرا**" وسمعت صوته ، وبدت عليها الدهشة ورآها الرجل بدوره وهتف :

– أهلاً . . "**ساندرا**" .

– أهلاً . . "**ديفيد**" . .

ووقفت "**جنيفر**" ترقبهما وفي عينيها نظرة خبيثة .. فقالت "**ساندرا**" تحدثها :

– دعيني أقدم لك السيد" **فورستر**" .. "**ديفيد فورستر**" والتفتت إلى "**ديفيد**" وقالت :

– هذه السيدة "**برايس** " ... "**جنيفر برايس** " .

فشد "**ديفيد**" على يد "**جنيفر**" وقالت "**ساندرا**" بسرعة :

– يبدو أنك أخطأت اليوم مثلي يا "**ديفيد**" . فقد قالت لي "**جنيفر**" منذ لحظة إن "**باتريشيا**" وزوجها سافرا إلى "**فرنسا** " .

فقال "**ديفيد**" وهو ينظر إلى "**جنيفر**" ويبتسم :

– أحقاً ؟ معنى هذا أننا نحن الثلاثة قد خدعنا ..

فقالت "**جنيفر**" وهي تشير إلى القفص :

– أنا جئت فقط لكي أطعم العصفور .

فنظر "**ديفيد**" إلى القفص والعصفور وقال :

– ما أجمله !!

فقالت "**جنيفر** " بسرعة :

– يجب أن أذهب الآن .. لقد أسعدني لقاؤك يا سيد "**فورستر**" .. إلى اللقاء يا " **ساندرا**" .

وانصرفت . وأغلقت الباب وراءها . فقال "**ديفيد** " وهو يضع قبعته على أحد المقاعد :

– من هي بحق الشيطان ؟

– "**جنيفر برايس** " .

– هل هي صديقتك ؟

فهزت كتفها وأجابت :

– لا أستطيع أن أقول ذلك .

– ماذا كانت تفعل هنا ؟

فقالت "**ساندرا**" وهي تطفئ سيجارتها .

– ألم تسمع ما قالت ؟ إنها جاءت لتطعم العصفور . . وأنت ، ماذا جئت تفعل هنا ؟

– جئت لكي أراك أيتها الحبيبة .

– لكي تراني ؟

فقال وهو يجيل البصر حوله :

– بهذه المناسبة . . شقة من هذه ؟

– شقة "**مايكل** " و " **باتريشيا تورانس** " .

– آه . . إنها شقة جميلة . . هل ينامان على الأريكة ؟

– لا أعلم . . ولكن توجد غرفة نوم هناك .

وأشارت نحو غرفة النوم . فقال وهو يحتويها بين ذراعيه :

– لقد انقضى دهر منذ التقينا آخر مرة . .

وقبلها بحرارة .

قالت :

– كان آخر لقاء لنا منذ أسبوع . .

– نعم . . منذ أسبوع . . . أطول أسبوع في حياتي . . .

– ليتنا نستطيع اللقاء علناً !!

– سيحدث ذلك قريباً . . فاطمئني . .

– إنني سئمت التخطيط والتدبير واللقاءات السرية الخاطفة . .

– كل ذلك سيتغير قريباً . .

ثم تركها فجأة وقال وعلى وجهه دلائل الهم والقلق :

– هل رأيت عيني المرأة التي كانت هنا منذ لحظة ؟ كانت فيهما نظرة ارتياب واضحة . . ترى ماذا ظنت بنا ؟

– لا أعلم . . . ولكنها امرأة سوء . .

– هل تعتقدين أنها ستتكلم عنا أو تشي بنا ؟ يا لسوء الحظ لقد كنا حتى الآن في شدة اليقظة والحذر .

– لقد قلت لها إنني أنتظر قدوم زوجي .

– وهل صدقتك ؟

– كان من الممكن أن تصدقني لولا حضورك .

– يا لسوء الحظ !!

ثم راح يذرع أرض المكان في قلق ، ويداه خلف ظهره . وأخيراً قال :

– ولكنك أحسنت صنعاً إذ تظاهرت بالدهشة حين وقع بصرك عليّ .

– إنني دهشت فعلاً .

– كيف ذلك وأنت التي طلبت إليّ أن أحضر ؟

فبهتت وقالت :

– أنا لم أطلب إليك الحضور .

ولكني تلقيت مكالمة تليفونية .

– مكالمة تليفونية ؟ ما فحواها ؟

– قال المتكلم : هل لك أن تتفضل بمقابلة السيدة " **ساندرا جراي** " في الساعة السادسة والنصف بالمنزل رقم 513 بشارع " **البيري** " ؟ ..

أليس هذا شارع " **البيري** " ؟

– بالتأكيد .

– إذن ؟

فجمدت "**ساندرا**" في مكانها وشرد بصرها لحظة .. ثم قالت فجأة :

– إن في الأمر شيئاً مريباً وغريباً يا " **ديفيد** " .. فقد اتصلت بي "**باتريشيا**" ودعتني للحضور لقضاء السهرة وتناول الشراب .

– لنبدأ من البداية ... من هي "**باتريشيا**" أولاً ؟

– إنها زوجة "**مايكل تورانس** " الذي يعمل في منظمة "**اليونسكو**" . وقد عادا مؤخرا من "**أفريقيا** " و " **الشرق الأوسط** " .

فقال "**ديفيد** " وهو ينظر إلى قطع الأثاث والتحف :

– هذا واضح .. حسناً ... اتصلت بك "**باتريشيا**" ودعتك للحضور لقضاء

السهرة وتناول الشراب .. فلبيت الدعوة ، و حضرت ، ولكن يبدو أنك أخطأت اليوم لأنني لا أرى أي استعداد لإقامة حفل ..

ثم خطر له خاطر فجائي ، فصاح :

– ولكن كيف دخلت ؟

– دققت الجرس ثم دفعت الباب فانفتح .. والظاهر أنه لم يكن مغلقاً جيداً .

– هذا غريب حقاً .

غريب جداً .. وأغرب منه أن "**باتريشيا**" وزوجها سافرا إلى "**فرنسا**" في يوم السبت الماضي .. فكيف أمكن أن تتصل بي تليفونياً أمس الأول ؟

– هل اتصلت بك شخصياً .. أم كلفت شخصاً بالاتصال بك ؟

– شخصياً .

– هل تحققت من صوتها ؟

– الواقع أن صلتي بها ليست وثيقة . وقد سمعتها تقول في بداية الحديث : "**باتريشيا تورانس**" تتكلم فلم أشك في أنها هي ..

فقال "**ديفيد**" بقلق :

– إن وراء كل هذا شيئاً لا أفهمه .

– نعم ... هنالك شيء يثير الحيرة ويبعث على القلق .

– ولكن ما الهدف ؟ ما معنى أن تتصل بك واحدة وتزعم أنها "**باتريشيا**" .. ويدعوك للقدوم إلى هنا .. وما معنى أن يتصل بي أحد الأشخاص ويبلغني رسالة يزعم أنها منك ... ويدعوني إلى مقابلتك ؟ .. ما معنى كل هذا ؟

فقالت "**ساندرا**" :

– ألا يحتمل أن ...

وصمتت ... ولم تتم عبارتها .. فقال "**ديفيد**" وهو يتفرس في وجهها:

– ماذا ؟ يبدو أن لديك تفسيراً لهذه الألغاز ... تكلمي .

فقالت ببطء :

– ألا يحتمل أن يكون "**جون**" هو المدبر لكل هذا؟

فصاح في دهشة :

– "**جون**" ؟ زوجك ؟

– لقد خيل إليّ أنه بدأ يرتاب في أمرنا .

فقال بحدة :

– ولكنك لم تخبريني ؟

– كنت أظن أنه مجرد وهم .

– " **جون**" ؟ ولكن ما الصلة بينه وبين "**تورانس**" وزوجته ؟ هل يمكن أن يكون قد أقنع "**باتريشيا**" بالاتصال بك ودعوتك للحضور إلى هنا؟

ففكرت "**ساندرا**" قليلاً ثم قالت :

– هذا مستحيل .. إنه لا يكاد يعرفها .

فقال " **ديفيد** " وهو لا يزال يضرب أخماساً بأسداس .

– لعله تمكن من استعارة هذه الشقة ثم أوعز إلى إحدى النساء أن تتصل بك وتزعم أنها "**باتريشيا**" .

فصاحت "**ساندرا**" :

– ولكن لماذا ؟ لماذا ؟

– ألا تفهمين لماذا ؟ لكي يضبطنا في حالة تلبس .

– آه ..

– ومن يدري .. فلعله أخفى بعض رجال الشرطة السريين في الحمام لهذا الغرض.

وأسرع إلى الحمام وفتحه وأطل فيه . ثم عاد وقال :

– إنه حمام صغير .. وليس به أحد .

ثم أجال البصر حوله واستطرد قائلاً :

– الشقة كلها صغيرة .. ومكشوفة ، وليس فيها مكان يصلح للاختباء . أكبر الظن أنه يريد أن يفاجئنا بنفسه ونحن في وضع مريب .

– أليس من الوحشية والنذالة أن يقدم على أمر كهذا ؟

فقال "**ديفيد** " ساخراً :

– لا تستنكري سلوكه أيتها الحبيبة ... فإنه زوج ومن حقه أن يغضب ويثور إذا علم أن لزوجته عشيقاً .

ثم جلس على الأريكة وقال :

– منذ متى بدأت حياتكما الزوجية ؟

– منذ عام .

– وهل لايزال يغار عليك ؟

– ولم لا ؟ أنت تعلم أنه يغار عليّ .

ثم أردفت بعد قليل :

– ولكنه ساذج إلى أبعد الحدود ، ويستطيع أي إنسان أن يخدعه . وقد كنت على يقين حتى الفترة الأخيرة من أنه لا يرتاب فيّ ولا يعرف شيئاً عنا .

فقال "**ديفيد** " :

– لابد أن صديقاً كريماً رآنا معاً فأنهى إليه النبأ السعيد .. رغم أنني واثق بأننا كنا دائماً في منتهى الحذر .

فقالت "**ساندرا** " في مرارة :

– مهما يكن الحرص والحذر ... فهناك دائماً من يعلم .

– هذا صحيح ، ولذلك أعتقد أن خير ما يمكن عمله الآن ، هو أن نغادر هذا البيت بسرعة .. على أن نلتقي غداً في المكان المألوف ولكن يجب أن تتحققي من أن أحداً لا يتبعك .

والآن ... اجمعي حوائجك وهلمي بنا .. فإنني لا أريد أن يفاجئنا أحد هنا .

قال ذلك وتناول قبعته ..

وفي هذه اللحظة ، دق جرس الباب .

- 2 -

جمد "**ديفيد**" في مكانه .. ونظر إلى "**ساندرا**" في هلع .. ولكنها لم تكن أقل منه حيرة وهلعاً .

قالت بصوت خافت :

– ترى من القادم .

– صه .

وأعاد قبعته إلى مكانها على المقعد ، وأردف قائلاً :

– إذا كان القادم هو "**جون**" ولم يسمع أية حركة أو صوت فإنه سينصرف .

– ودق الجرس مرة أخرى فقالت "**ساندرا**" :

– إن الباب مفتوح .

– آه .. ليتني أوصدته بالمزلاج .. اجلسي بحق السماء وتظاهري بالهدوء وعدم الاكتراث .. إليك لفافة تبغ .

وقدم لها لفافة ، وأشعلها ...

وفتح الباب .. ودخل شاب في نحو الثامنة والعشرين من عمره ، يرتدي بذلة على أحدث طراز .. ويضع في يديه قفازاً ..

كان وسيماً ، ولا يعيبه سوى ضيق عينيه ، والنظرة الثعلبية الخبيثة التي تتألق فيهما .

وما أن وقع عليه بصر "**ساندرا**" حتى هتفت قائلة :

– "**أليكس** " !!

فقال الشاب بثبات :

– هالو"**ساندرا**" .. أهلاً " **ديفيد**" ...

ثم نظر حوله وأردف قائلاً :

– يبدو أننا جئنا إلى الحفل في وقت مبكر .

فسري عن "**ساندرا**" وتنفست الصعداء وقالت :

– إذن فهناك حفل ، لقد كنا نتساءل عن ذلك منذ لحظة . وخيل إلينا أننا أخطأنا

المكان والزمان لأننا لم نر ما يشير إلى وجود حفل .

فقال "**أليكس** " وهو ينظر حوله :

ـ هذا صحيح .. إنني لا أرى طعاماً أو شراباً .. أو زهوراً ..

ألا يحتمل أن يكون "**مايكل** " و"**باتريشيا**" قد أقاما الحفل في مكان آخر؟

فقال "**ديفيد** " :

ـ الحق إنه أمر محير .

ـ هل جئتما منذ وقت طويل ؟

فسارعت "**ساندرا**" إلى الإجابة . قالت :

ـ إنني جئت منذ خمس دقائق تقريباً .. وجاء "**ديفيد**" بعد ذلك .

فقال "**أليكس** " وهو يضع قبعته على الأريكة :

ـ ألم تحضرا معاً ؟

فأجاب "**ديفيد**" و"**ساندرا**" في نفس الوقت :

ـ كلا .

ـ وساد صمت قصير ، ثم قالت "**ساندرا**" :

ـ هل اتصلت "**باتريشيا**" بك ؟

ـ كلا . الواقع أن "**مايكل** " هو الذي اتصل بي ... إنه إنسان غريب الأطوار وغير واضح وصلتي به ليست وثيقة ... وكل ما قاله إنه طلب إلي في أدب أن أحضر إلى هنا في منتصف السابعة مساء لتناول بعض الشراب .. وهأنذا قد جئت .

فقال "**ديفيد**" وهو يصعده بعينيه ويتأمل ثيابه :

ـ إن من يراك يخيل إليه أنك مدعو إلى حفل رسمي في قصر الملكة .

ـ الحقيقة أنني كنت في حفل موسيقي ، وقد تبادر إلى ذهني أنني سأجد الجميع هنا في ثياب السهرة .

ـ هل قال لك "**مايكل**" ذلك ؟

ـ كلا .. كلا .. إنه قال فقط إنها سهرة لتناول الشراب . وذلك أسلوب

يستخدم في الدعوة لكل أنواع الحفلات .. أنا واثق بأنه كان يريد الاحتفال بمناسبة ما ..

وكان يتكلم وهو يسير ببطء نحو دولاب في أحد الأركان . ثم فتح الدولاب وقال :

– أرى هنا زجاجة شراب .. شيء خير من لا شيء .

وأخرج الزجاجة .

فقال "**ديفيد**" .

– إنني أستطيع أن أخمن ما حدث ... لقد دعانا آل "**تورانس**" إلى حفل ، ولكنهما أقاماه في مكان آخر . وغاب عنهما أن يخطرانا بذلك المكان أو لعلهما ظنا أننا نعرفه .

فقال "**أليكس** " وهو يضع الزجاجة والأقداح على المائدة .

– إنه لأمر بالغ الغرابة ... أعني أنه غريب حقاً أن ينسيانا نحن الثلاثة ..

ثم ملأ الأقداح بالشراب ، وقدم قدحاً لكل من "**ساندرا**" و "**ديفيد**" وقال وهو يرفع قدحه في يده :

– لنشرب نخب الصديقين العابثين .. نخب آل "**تورانس**" .

فقال "**ديفيد**" وهو يرفع قدحه :

– نخب آل "**تورانس**" .

وشربوا ...

وقالت "**ساندرا**" وهي تضع قدحها على المائدة ..

– ذكرت صديقة لي ، هي "**جنيفر برايس**" ، أن "**مايكل تورانس** " وزوجته قد سافرا إلى "**فرنسا**" . فلم أصدقها ... ولكنني أعتقد الآن أنها قالت الحقيقة .

فهتف "**أليكس** " :

– "**جنيفر برايس**" ؟ هل كانت هنا ؟

فقالت "**ساندرا**" :

– إنها جاءت لتطعم العصفور ..

فمشى "**أليكس** " إلى القفص ، ونظر إلى العصفور . ثم إلى الصندوق الأسود الكبير الموضوع تحت النافذة وعاد أدراجه وهو يقول :

ـ كل هذا يثير الفضول .. لنستعرض ما حدث لعلنا نصل إلى الحقيقة .. إذا كان آل "**تورانس**" قد سافرا إلى "**فرنسا**" فلابد أن شخصاً آخر لا نعرفه . هو الذي اتصل بنا وطلب إلينا الحضور .

ـ ولكن لماذا ؟

ونظر إلى "**ديفيد**" واستطرد قائلاً :

ـ أليس الأمر مثيراً ؟ .. إنه أشبه بالألغاز التي نقرؤها في الروايات البوليسية .. ومن يدري ... فلعلهما تعمدا أن يضعانا أمام لغز لكي نحاول أن نجد له حلاً .. أو لعلهما تركا الأمر لذكائنا وتركا لنا من الآثار والأدلة ما يكفي لإرشادنا إلى المكان الآخر الذي أقاما فيه الحفل .. نعم ، لابد أن يكون الأمر كذلك ..

ولكن ما أغرب التحف التي يقتنيها آل "**تورانس**" !!

وتناول إناء قهوة من فوق رف خلف الأريكة وقال وهو يتأمله :

ـ أظن أنهما جاءا بهذا الإناء من "**بغداد**" ..

ـ إن منظره ثمين ومخيف .. وهذا النتوء الذي ينسكب منه السائل يذكرني بمنقار صقر شرس ...

ـ أحسنت الوصف يا "**ساندرا**" .. نعم ... إنه يشبه منقار صقر شرس ... الإناء كله يفتقر إلى الجمال .. بل الشقة كلها .. انظري .. إنها تكاد تخلو إلا من الضروريات .. مجرد جدران ملساء

وأهم الضروريات .. ما أبشع أن يجد الإنسان نفسه حبيساً في مكان كهذا . فقال "**ديفيد**" :

ـ على العكس يا "**أليكس** " .. إنها شقة عصرية جميلة .. وليس فيها ما يوحي بهذه الخيالات المزعجة .

ـ إنك إنسان مرح ولا تميل إلى التشاؤم يا "**ديفيد**" .. انظر إلى هذا ..

ـ أعتقد أن هذا ما يسمونه في "**دمشق**" (صندوق العروس) ..

– ثم هذا . .

وتناول خنجراً مقوساً كان معلقاً على الجدار واستطرد قائلاً :

– هذا فيما أعتقد خنجر كردي . . . . إنه أفضل سلاح لقتل الزوجة الخائنة . . ولكن مقبضه جميل . . . أليس كذلك يا "**ديفيد**" . . خذه وتأمله جيداً هل أنت خائف ؟ إنه لن يعضك .

فتناول "**ديفيد**" الخنجر ونظر إليه في شيء من الرهبة ثم رده إلى "**أليكس**" وهو يقول :

– إن المقبض جميل حقاً .

فقدم "**أليكس** " الخنجر إلى "**ساندرا**" وهو يقول :

– بل إنه قطعة فنية . . أليس كذلك يا "**ساندرا**" ؟

فتناولت "**ساندرا**" الخنجر وتأملته بدورها وقالت :

– بلى . . إنه جميل .

وأعادته إليه ، فقال وهو يقترب من الشرفة :

– مازلت أقول إن هذه الشقة موحشة وكئيبة . . وأطل من الشرفة واستطرد قائلاً :

– أي طابق هذا ؟ أظنه الطابق الخامس . . أنه مرتفع مثل ربوة من ربى "**كورنوول**" . . وصالح تماماً للانتحار . . ياإلهي . . ! لقد سقط الخنجر من يدي . . سقط في الشارع . . من حسن الحظ إنه لم يسقط على أحد المارة . . يجب أن أذهب لآتي به . . وإذا وجدت بواب العمارة . . فإنني . .

فقاطعته "**ساندرا**" :

– لا أظن أن للعمارة بواباً .

– ولكن هناك مكتب بجوار الباب الرئيسي . . سأستفسر هناك عن آل"**تورانس**" . . وهل رحلا . . أم تركا الشقة لمستأجر آخر .

واختطف قبعته وأسرع نحو الباب ، فقال "**ديفيد**" :

– لعل من الأفضل أن نرحل نحن أيضاً .

– لماذا ؟ ابقيا هنا . . وأكملا شرابكما . ولن أغيب عنكما طويلاً . وانصرف ،

وأغلق الباب فقال " **ديفيد**" وهو يكاد ينشق غيظاً :

– لا شك أن هذا الوغد سيعود مرة أخرى .. إن له أقذر لسان في "**لندن**" .

فقالت "**ساندرا**" وهي تضع قدحها على المائدة :

– هل تظنه دهش حين وجدنا هنا معاً ؟

– أعتقد ذلك .. وأكبر الظن أنه سيطوف بأرجاء "**لندن**" ، ليقول للناس إن آلـ"**تورانس**" قد أعارانا شقتهما لكي نلتقي فيها خفية .

– إذن يحسن بنا أن ننصرف .

– كلا .. صبراً لحظة .. إذا ذهبنا معاً ، ظن بنا الناس الظنون ولكن حدثيني .. أليس "**أليكس**" أحد أصدقاء "**جون**" ؟

فأجابت "**ساندرا**" :

– إن الصلة بينهما سطحية .. والشخص الذي أحبه "**أليكس** " وأخلص له حقاً هو "**باري**" . زوجي الأول .. وقد كان حزنه شديداً عندما مات "**باري** " .

– تعنين عندما سقط من فوق ربوة في "**كورنوول**"

– نعم ..

وصمتت لحظة ثم قالت :

– إن الضجة التي أثارها "**أليكس** " حول موت "**باري** " كادت توحي إلى الناس أنني أنا التي ألقيت به من قوق الربوة .

فقال "**ديفيد**" وهو يتفرس في وجهها :

– وهل فعلت ذلك حقاً ؟

– ماذا تعني ؟

– فأجاب وهو يشيح بوجهه :

– لا شيء .

فقالت :

– أنا نفسي كدت أن أسقط معه .

ومرت بجسدها رعدة واستطردت ..

– كان الموقف رهيباً .. وكانت الربوة كلها تتفتت وتنهار عقب الأمطار الغزيرة التي سقطت في أثناء الليل .

فأطرق "**ديفيد**" برأسه مفكراً وقال :

– إذن "**أليكس**" لا يحبك كثيراً لهذا السبب ..

– إنه رجل شاذ .. يكره النساء بصفة عامة ..

– ولكنه يكرهك بصفة خاصة .. أليس كذلك ؟

– ماذا تريد أن تقول ؟

فأجاب وهو لا يزال مستغرقاً في التفكير :

– لقد خطر لي أن "**أليكس**" ربما كان هو المدبر لكل هذا ..

– ولكن لماذا ؟

– ربما كانت خطته أن يجمع بيننا هنا ، ثم يتصل بـ "**جون**" لكي يفاجئنا معاً .

– إن ذلك يبعث على السخرية .. ولكن إذا كان "**أليكس**" قد فعل ذلك فلماذا جاء بنفسه إلى هنا ؟ إن مجيئه خليق بأن يفسد الخطة كلها .

– هذا صحيح .

ثم أردف وهو يتناول قبعته :

– على كل حال ، يحسن بنا أن ننصرف من هنا فوراً ، لنلحق بـ "**أليكس**" .

فتناولت حقيبتها وشملتها وتبعته إلى الباب وهي تقول :

– كم كنت أود أن أعرف معنى كل هذا... بيد أنني لا أصدق أبداً أن ..

ولم تتم عبارتها ، فقد استدار "**ديفيد**" في تلك اللحظة وقال وأمارات الدهشة تعلو وجهه :

– أرأيت ؟

– ماذا ؟

– لا أظن ذلك .. هل عالجت المقبض ؟

فأمسك "**ديفيد**" بالمقبض وحركه يميناً ويساراً ثم هز الباب بعنف .. ولكن دون جدوى .

– يبدو أن بعضهم أغلقه بالمفتاح من الخارج .. فهتفت "**ساندرا**" في جزع :

– تعني أن شخصاً تعمد أن يحجزنا هنا ؟

– هذا ما أعنيه ..

– ولكن في استطاعتنا أن ... من تظنه فعل ذلك ؟

– "**أليكس** " ..

– " **أليكس** " ؟ ولماذا يعمد "**أليكس** " إلى حجزنا هنا ؟ وعلى كل حال هذه ليست مشكلة .. في مقدورنا أن ندق الباب بشدة .. أو أن نصرخ .

وفتحت فمها وهمت بأن تصيح ، ولكن "**ديفيد**" أسرع فوضع يده على فمها وقال وهو يقودها إلى أحد المقاعد .

– مهلاً .. لا تفعلي ذلك .. صبراً لحظة ..

اجلسي أولاً نفكر في الأمر ملياً في هدوء .. لا شك في أن ما حدث هنا يدعو إلى الدهشة والتساؤل .. إن ما حدث هو أن "**أليكس** " أو أي شخص آخر دعاك إلى هنا باسم آل "**تورانس**" ، وأبلغني رسالة زعم أنها منك .. ومهما يكن من أمر هذا الشخص فإنه نجح في استدراجنا إلى هنا وأغلق الشقة علينا .

– ولكن هذا عمل سخيف .. إن في استطاعتنا أن نستغيث .

– نعم ، في استطاعتك أن تستغيثي .. ولكن ماذا سيحدث ؟

ستحدث فضيحة مدوية .. سيقال إننا دخلنا شقة في غياب أصحابها لنمارس الحب وإن أحد العابثين الماجنين أغلق باب الشقة علينا وأوقعنا في مأزق لا خلاص منه إلا بالفضيحة .

– إذن كلما عجلنا بكشف هذه الخدعة كان ذلك أفضل .. دعنا نحدث ضجة عظيمة .. ونزعم بعد خروجنا أن الأمر كله مجرد مزحة خبيثة ..

فقال "**ديفيد**" بجفاء :

– يجب أن تعلمي أنني لا أريد أية فضيحة .. إن الفضيحة التي تثار حولي سوف تسيء إلى مركزي وتدمر مستقبلي .. وإذا طلب "**جون**" الطلاق وأقحمني في الموضوع كانت في ذلك نهايتي .

فصاحت "**ساندرا**" في غضب :

– يا لك من حيوان أناني .. إنك لا تفكر إلا في نفسك إنك لا تفكر في وفي سمعتي ؟

– أية سمعة ؟ لم تكن لك قط سمعة طيبة ..

فردت "**ساندرا**" الإهانة بصفعة هوت بها على خده .. واحمر وجهه ولكنه كظم غيظه وقال :

– اجلسي ودعيني أفكر .. نعم .. إن شخصاً نصب لنا فخاً وقعنا فيه .. هذا الشخص هو غالباً "**أليكس** " .. إنه كان دائماً يكرهني وكنت أشعر بذلك .. هبي أنه استطاع أن يقنع "**جون**" بأن . . .

وكان يتكلم وهو يسير في الشقة ، ووصل في سيره إلى حيث كان الصندوق الأسود فكف عن الكلام فجأة .. ووضع أصبعه على شيء في الأرض ثم نظر إلى أصبعه وقال :

– ذرات خشب .. من أين جاءت ؟ آه .. أرى ثقباً في جدار الصندوق .. بل أربعة ثقوب .. إنها ثقبت حديثاً .. كأنما لكي يتنفس منها شخص داخل الصندوق ..

فوثبت "**ساندرا**" من مقعدها وهتفت :

– ماذا تعني ؟

– هبي أن "**أليكس** " استغل الشكوك التي ساورت " **جون**" ، وأقنعه بالاختباء داخل الصندوق .. ثم أعد لنا هذا الفخ ..

– هل تعني أن .. أن "**جون**" موجود داخل الصندوق الآن ؟

وأنه سمع كل ما قلناه و.. و ..

– ذلك ممكن .. ممكن جداً ..

فنظرت "**ساندرا**" إلى الصندوق ثم إلى "**ديفيد**" " ..وتردد هذا قليلاً ثم مد يده إلى الصندوق وفتحه ..

ولكنه ما كاد ينظر بداخله حتى فر لونه وجحظت عيناه وصاح :

– يا إلهي !!

فجمد الدم في عروق "**ساندرا**" وأسرعت إليه وهي تقول :

– ماذا حدث ؟ ماذا في الصندوق فصاح بها .

– كلا .. كلا .. لا تنظري ..

وارتمى على أقرب مقعد إليه ، فقالت مرة أخرى :

– ماذا حدث ؟

– تعالي واجلسي ، وتكلمي بصوت خافت .. نحن أحوج ما نكون الآن إلى صفاء الذهن ورباطة الجأش .

– ولكن أخبرني .. ماذا ..

– إن "**جون**" في الصندوق كما توقعت .. ولكنه جثة هامدة !!

◆◆◆◆◆

بهتت "**ساندرا**" وامتقع وجهها ، وترنحت في مكانها .. ومرت بضع ثوان كأنها دهر ، قبل أن تفيق من الصدمة ، وتسترد أنفاسها .. هتفت أخيراً :

– "**جون**" .. جثة هامدة !!

– إنه مقتول .. فهل قتلته ؟

– أنا ؟ ماذا تعني ؟

– إنك سبقتني إلى هنا .. ثم بعثت إلي برسالة . فقاطعته :

– ولماذا أقتله في شقة غريبة وأرسل في طلبك ؟

– لكي أكون بجانبك أيتها العزيزة .. إنك ألحت أكثر من مرة إلى رغبتك في الاقتران بي .. ولما كانت إجراءات الطلاق طويلة ومعقدة .. وتتطلب نفقات طائلة .. وكنت تعلمين مدى نفوري من أن أقحم في قضية طلاق .. فإنك ..

– يا لك من غبي !! .. أتظن أنني أجازف بارتكاب جريمة قتل قد تؤدي بنا معاً إلى المشنقة لمجرد رغبتي في الاقتران بك ؟

– كلا .. ولكنك ربما ظننت أننا نستطيع الإفلات من العقاب .. فالشقة ملك

لآخرين .. وأصحابها في رحلة في الخارج .. وكان تقديرك أن أحداً لم يرنا .. فالعمارة بلا بواب .. وسكانها لا يعرفوننا .. بل ولا يعرفون أننا هنا .

فقالت "**ساندرا**" في هدوء :

– في استطاعتي أن أوجه إليك نفس الاتهام ، هب أنك سبقتني إلى هنا وقابلت "**جون**" وقتلته ووضعته في الصندوق وانصرفت .. ثم وقفت ترقب العمارة حتى رأيتني أدخلها فلحقت بي .

– بحق السماء ، يا "**ساندرا**" ، أما كففت عن هذا السخف . إن عيبك أنك على جانب عظيم من الغباء .

فاستشاطت غضباً وصاحت :

– الآن تبدو على حقيقتك .. وترفع قناع الغش والخداع .. وتجاهر بما كنت تخفيه تحت ستار من الظرف والأدب الزائف .. وما أنت في الحقيقة إلا نذل وجبان ..

– وأنت .. كم رجلاً استدرجت إلى فراشك !!

– يا لك من وغد قذر !!

وكان من الممكن أن يسترسلا في التراشق بالاتهامات لولا أن رن جرس التليفون فجأة ، فصمتا .. ونظر كل منهما إلى الآخر في ذعر .

قالت "**ساندرا**" بصوت مرتجف :

– من تظنه المتكلم ؟

– لا أعلم ..

– هل أتناول السماعة ؟

– ليس من الحكمة أن تفعلي ..

– ربما كان "**أليكس** " يتكلم من مكتب العمارة ..

فمد يده ليتناول السماعة ولكنها صاحت :

– كلا .. كلا ..

فجذب يده وقال :

– الحق أنني مرتبك ومشوش الذهن لا أدري ماذا يجب أن أفعل .

ظل جامداً في مكانه لحظة ، ثم نهض بغتة ليتناول السماعة .

ولكن التليفون كف عن الرنين ، فجفف "**ديفيد**" العرق المتصبب على جبينه وقالت "**ساندرا**" :

– ماذا سيظن بنا "**أليكس** " إذا كان هو المتكلم ؟

– إذا كان هو المتكلم فسيصعد ليرى ماذا حدث .. ولكنني لا أعتقد أنه هو .

– من إذن ؟

فصاح في ضيق :

– لا أعلم .. لا أعلم .. يجب أن أفكر .. يجب أن أفكر بوضوح .. إن بعضهم استدرجنا إلى هنا .. وبعضهم استدرج "**جون**" .، وبعضهم أغلق علينا الباب .. إنه "**أليكس** " .. ولا أحد سواه . .

وفتح الصندوق وأطل فيه ثم أغلقه .. وسار إلى الشرفة فقالت " **ساندرا**" وقد أخذت أعصابها في الانهيار :

– ماذا تفعل ؟

– هل تذكرين الخنجر الكردي الذي سقط من يد " **أليكس** " ؟ ألم يقل إنه سيذهب لالتقاطه ؟

– نعم ..

– إنه لم يلتقطه ، ومازال الخنجر في مكانه حيث سقط ..

– ماذا تعني ؟

– بدأت صورة المكيدة تزداد وضوحاً ..

فصاحت في حيرة ويأس :

– لست أفهم شيئاً . لست أفهم شيئاً . إنني في دوامة وأوشك أن أجن .

– يوجد شخص واحد وراء كل هذه الأحاجي والألغاز .. وهذا الشخص هو "**أليكس** " ..

إنه أفهم " **جون**" أننا سنلتقي هنا ، وأقنعه بالاختباء في الصندوق لكي يرى

ويسمع بنفسه .. ثم طعنه بالخنجر وتركه في الصندوق وانصرف ولابد أنه كمن في مكان حتى رآنا ندخل العمارة فلحق بنا .

ولعلك لاحظت أنه كان حريصاً على أن يلفت أنظارنا إلى الخنجر ، وأرغمني أو كاد يرغمني على تناول الخنجر ثم جعلك تمسكين به وتتأملينه .. كل ذلك بينما يداه في قفازه طول الوقت .. فهل فهمت ماذا كان هدفه ؟ كان هدفه أن نترك بصمات أصابعنا على الخنجر .. وقد كان له ماأراد ، وها نحن عاجزان تماماً عن عمل أي شيء .. ومحبوسان في شقة مغلقة مع جثة رجل مقتول .. نحن وحدنا أصحاب المصلحة في قتله .

– كل هذا جنون .

– إن بصماتك وبصماتي على الخنجر .. ولا توجد على الخنجر أية بصمات أخرى .. وليس هناك ما نستطيع عمله سوى أن تنتظر حتى يأتي رجال البوليس..

فقالت وهي تنهض في ذعر :

– رجال البوليس ؟ ولكن لماذا يأتون؟

– ألا تدركين أن هذه هي الخطوة المنطقية التالية في خطة "**أليكس** " ؟

– لابد أن به مسا من الجنون .. لماذا يفعل بنا هذا ؟

– أما قلت إنه كان يحب زوجك الأول ويخلص له ؟

– ولكن ما علاقة ذلك بـ "**جون**" ؟

فقال وهو يدنو منها :

–اصدقيني القول يا "**ساندرا**" .. هل قذفت بزوجك الأول من فوق الربوة ؟

– كلا بالتأكيد .. قلت لك إنني أنا نفسي كدت أسقط معه ..

فأمسك بكتفيها بقوة .. وأدارها لكي تواجهه وقال :

– أصغي إلي يا "**ساندرا**" .. أنا لا يهمني إذا كنت قد قذفت به أم لا .. ولكننا في موقف يتعين علينا فيه أن نعرف الحقائق لكي نتبين نوايا "**أليكس** " وأهدافه .. إنك كنت تحبين "**جون**" قبل أن يموت زوجك الأول .. وكان "**جون**" شاباً ساذجاً مستقيماً ولكنه فقير .. أما زوجك الأول فقد كان واسع الثراء .. ولم تكن فكرة

الطلاق تلائمك .. لأنها تفقدك ثروة زوجك .. واتفق أنك و"**باري**" صعدتما فوق تلك الربوة .. ثم حدث الانهيار بسبب الإعصار ، ووجدت أنت أن الفرصة سانحة.. فانتهزتها ، ودفعت زوجك فهوى إلى الأعماق .. أليس ذلك ما حدث ؟ أليس ذلك ما حدث ؟

وهز كتفيها بعنف وهو ينطق بالعبارة الأخيرة فأطرقت برأسها علامة الإيجاب..

وعندئذ فقط ترك كتفيها وقال :

– لا شك أن "**أليكس** " علم بهذه الحقائق ..

– وأنى له أن يعلم ؟

– إن "**أليكس** " يعرف الناس الذين يتعامل معهم .. إنه لم يرتب في الأمر ، وإنما كان واثقاً به .. وكان لديه متسع من الوقت فانتظر حتى سئمت "**جون**" وبدأت مغامرتك معي .. وحينئذ رأى فرصته ..

رأى الفرصة سانحة للاقتصاص منك ومن "**جون**" ومني .. إنه ماكر كالثعلب ، ما في ذلك شك .. ولكن المسألة الآن هي ماذا سنفعل ؟

– يجب أن نغادر هذا المكان .

– بالتأكيد يجب أن نغادر هذا المكان .. ولكن كيف ؟

– نستغيث .. أو ندق الباب بعنف حتى يسمعنا أحد السكان ..

– وماذا يفيدنا ذلك ؟ سيفتح بعضهم الباب ويطلق سراحنا ..

ولكنهم سيجدون جثة "**جون**" . ولن يصدقوا قصتنا .. وأدهى من ذلك أنك قلت لتلك المرأة "**جنيفر برايس** " إنك تنتظرين زوجك. بوسعنا أن نقول ولكن "**أليكس** " سينكر كل شيء .. خاصة وأنه لم يترك بصماته في أي مكان .. ولا شك أنه أعد عدته كذلك لإثبات وجوده في مكان آخر في الوقت الذي ارتكب فيه الجريمة .

– لابد أن يكون أحد الناس قد رآه عند دخوله أو انصرافه ..

– في هذا الشارع المقفر ؟ إنني أرتاب في ذلك .. ثم دق جبينه بيده وصاح : – يا إلهي !! .. أما من مخرج من هذا المأزق ..

وانطلق إلى الشرفة وأطل منها .. وعاد اليأس يتجلى على وجهه ..

قال :

– إنها شاهقة الارتفاع .. والوثوب منها معناه الانتحار . ألا يوجد سلم للنجاة من الحريق ؟

فأجابت "**ساندرا**" :

– يوجد سلم .. ولكن لا يمكن الوصول إليه إلا من باب صغير بجوار باب الشقة..

فصاح وهو يدق المائدة بقبضة يده :

– لابد أن هناك وسيلة .

فهتفت "**ساندرا**" فجأة :

– التليفون !! بوسعنا أن نتصل بأحد الأصدقاء ونقول له :

فصاح "**ديفيد**" :

– يا إلهي .. كيف لم أتذكر التليفون ؟

– بمن نتصل ؟ .. وماذا نقول ؟

وتهالك على الأريكة وجفف العرق المتصبب على وجهه .. ونظر كل منهما إلى الآخر ..

ودق جرس التليفون ، فاتجهت أنظارهما إليه ..

وقالت "**ساندرا**" بعد لحظة :

– أجب .. أجب بحق السماء .. فإن الأمر لن يكون أسوأ مما نحن فيه .

– نعم .. نعم .. أظنك على حق .

وتناول السماعة وهتف :

–آلو...

وأصغى .

وبعد قليل ، حجب البوق بيده وهمس محدثاً "**ساندرا**" :

– إنه "**أليكس**" .

ثم عاد إلى الإصغاء .. وبعد لحظات ، وضع السماعة ، واستلقى على الأريكة بيأس . فصاحت "**ساندرا**" :

– ماذا قال ؟

– قال إننا كالفئران في المصيدة .. وإن البوليس سيصل إلينا بعد ثلاث أو أربع دقائق :

– البوليس !! كلا .. كلا .. لابد أن هناك وسيلة ما ..

وفر لونها ، وزاغ بصرها ، فقال "**ديفيد**" :

– هناك وسيلة واحدة .. هي الوثوب من الشرفة .

– تعني الانتحار؟ هل جننت ؟ إنهم سيصدقوننا متى أوضحنا لهم أن ..

– سوف يوجهون إلينا تهمة القتل .. ويحكمون علينا .

– ولكني لم أقتل "**جون**" ... أنت المخطئ .. لماذا وقفت في طريقي ؟ لماذا لم تدعني وشأني ؟ ... ليتني لم أقابلك على الإطلاق .

– أيتها الفاجرة الداعرة ... أنت التي أوقعتني في هذا المأزق ..

– إنني أمقتك ... هل سمعت ؟ إنني أمقتك من كل قلبي ..أيها الانتهازي الوضيع ... أيها الأناني القذر .

فثارت ثائرة "**ديفيد**" ... ودفعها بقوة فسقطت على الأريكة .

وعندما هم بأن يطبق أصابعه في عنقها ، دق الباب بعنف ، وصاح صوت في الخارج :

– البوليس .. افتحا الباب .

فاعتدل "**ديفيد**" واقفاً ، ونظر إلى "**ساندرا**" شزراً وقال :

– انتهى كل شيء .. إنك أفلت من القصاص في المرة الأولى ..

ولكنك لن تفلتي هذه المرة ..

وتكرر الطرق وقال الصوت :

– افتحا .

فرمقت "**ساندرا**" عشيقها بنظرة أودعتها كل ما يعتمل في نفسها من بغض

وكراهية وقالت :

– إنني أمقتك.

فقال بلهجة المغيظ :

– هل تعرفين ما هي عقوبة القتل ؟ العقوبة هي الإعدام شنقاً .. أو السجن خمسة عشر عاماً على أحسن الفروض .. تصوري !! "**ساندرا**" الفاتنة ترسف في الأغلال طوال خمسة عشر عاماً .

وهنا تكرر الطرق وقال الصوت :

– سنحطم الباب .

فقال "**ديفيد**" :

– إنهم لا يريدونني .. بل يريدونك أنت .. أنت التي قتلت "**باري**" .. لا أنا .. ما شأنهم بي ؟

وبدأت المطارق تدق الباب بعنف . فضحكت "**ساندرا**" ضحكة هستيرية وغمغمت قائلة :

– كالفئران في المصيدة .. نعم .. إننا كالفئران في المصيدة ..

الشبح القاتل

- 1 -

كان السيد "**إدوارد باليستر**" يقيم بالمنزل رقم 9 بشارع الملكة "**آن**" وهو شارع صغير مسدود في حي "**وستمنستر**" ، أشبه بواحة صغيرة هادئة في قلب "**لندن**" الصاخبة .

وكان السيد "**إدوارد**" راضياً عن بيته الصغير الهادئ كل الرضا ، فهو محام قديم كان في وقت ما أشهر محامي القضايا الجنائية في عصره ثم اعتزل المحاماة ، وراح يقضي وقته في جمع الكتب والمراجع التي وضعت عن الإجرام، حتى أصبح لديه منها مكتبة ثمينة . ثم شرع في كتابة مذكراته عن أشهر المجرمين .

وذات مساء ، كان السيد "**إدوارد**" جالساً أمام مدفأة في قاعة المكتبة ، وأمامه قدح من القهوة .. وبين يديه كتاب من وضع "**لامبروزو**" .... أشهر من كتب عن الإجرام والجريمة .. كان يقرأ بإمعان ، ويهز رأسه بين الفينة والفينة ، فقد عفا الدهر على نظريات "**لامبروزو**" وآرائه .. وظهرت نظريات جديدة قلبت علم الجريمة رأساً على عقب .

وبلغ من استغراق السيد "**إدوارد**" في القراءة ، أنه لم يشعر بخادمه "**آرمر**" حين فتح الباب ، وتسلل إلى الداخل في هدوء ، ووقف بجانبه .

قال الخادم بصوت لا يكاد يسمع :

– بالباب سيدة شابة تطلب مقابلتك يا سيدي .

فدهش السيد "**إدوارد**" وردد :

– سيدة شابة ؟

لم يكن من المألوف أن يزوره أحد ، فيما عدا بضعة أفراد من ذوي القربى ... كانت صلته بالناس قد انقطعت تماماً منذ أن اعتزل مهنة المحاماة ... وخطر لي أول الأمر أن الزائرة ربما كانت "**إيثل**" ابنة أخيه ... ولكن "**آرمر**" يعرف "**إيثل**" جيداً..

قال :

– ألم تذكر لك اسمها ؟

– كلا يا سيدي . . ولكنها قالت إنها واثقة بأنك لن تمانع في استقبالها .

فقال السيد "**إدوارد** " وقد أثير فضوله :

– دعها تدخل .

وبعد لحظات ، دخلت سيدة شابة في نحو الثلاثين من عمرها ترتدي ثوباً أنيقاً ، وقبعة سوداء عريضة . .

دخلت ويدها ممدودة لمصافحة السيد "**إدوارد**" ، وفي عينيها نظرة توحي بأنها تعرفه ، وأنها سعيدة بلقائه .

وانسحب الخادم في هدوء ، وأغلق الباب وراءه .

وهتفت الفتاة قائلة :

– السيد "**إدوارد**" !! إنك تذكرني ، أليس كذلك ؟ أنا "**مجدالين فون** " .

وعرفها على الفور ... وتذكر رحلته إلى "**أمريكا**" على ظهر الباخرة "**سيلوريك**" .

لقد قابلها في تلك الباخرة ...

كانت يومئذ في نحو الثامنة عشرة من عمرها ، فتاة جميلة موردة الخدين ممتلئة نشاطاً وحيوية ... وكانت شديدة الإعجاب به ، شأنها في ذلك شأن الذين يعبدون البطولة والأبطال ، وينظرون إلى المشاهير نظرتهم إلى أنصاف الآلهة .

وتذكر كيف خلبت لبه ببساطتها وشبابها ... وكيف جعلت الدم يتدفق في شرايينه حاراً سريعاً وهو ابن الستين .

وتذكر كل ذلك في لمحة خاطفة ، وأسعدته الذكرى . . وعبر عن سعادته بأن ضغط على يدها وهو يصافحها . .

وفي هدوء ، وبسرور مقرون بالوقار . . وضع لها مقعداً أمام المدفأة . وهو يسائل نفسه ، ترى ماذا جاء بها الآن ؟

وبعد تبادل العبارات المألوفة في مثل هذا الحال ، ساد بينهما صمت عميق ، لاحظ السيد " **إدوارد**" خلاله أن الفتاة تطبق أصابعها على حافة المقعد ثم تبسطها بحركة عصبية . .

ثم فجأة ، بللت الفتاة شفتيها بلسانها وقالت :

– أريدك أن تساعدني يا سيد "**إدوارد**" .

فازدادت دهشته ، وقال بطريقة آلية :

– نعم ؟

فمضت في حديثها .. قائلة :

– إنك قلت لي على سطح الباخرة إنني إذا احتجت إلى معونة وكان في استطاعتك أن تفعل شيئاً فإنك لن تتردد .

نعم .. إنه قال هذا الكلام .. قاله في لحظة الوداع قبل أن يذهب كل منهما إلى سبيله .. قاله بصوت متهدج وهو يرفع يدها إلى شفتيه ..

ولكن هذا الكلام يقال عادة في مثل هذه الظروف دون أن يعني شيئاً .. ودون أن يلزم صاحبه بشيء .. وخصوصاً إذا كانت قد مرت كل هذه السنين ..

كم سنة مرت منذ لقائهما ؟

عشر سنين على الأقل ..

ونظر إليها .

كانت لاتزال على جانب كبير من الجمال ... ولكنها فقدت الشيء الذي جذبه إليها ..

فقدت نضارة الشباب وبراءته . وحماسته واندفاعه ..

ربما كان وجهها قد أصبح أكثر إثارة وفتنة .. لرجل أصغر منه سناً وأوفر شباباً...

أما هو فإنه قد تجاوز السن التي يمكن أن يشعر فيها بدفء العاطفة كما شعر حين قابلها في الباخرة .

◆◆◆◆◆

نظر إليها بشيء من الحذر ، وشاعت في وجهه تلك الصراحة التي عرفت عنه وهو يعمل في المحاماة .

وقال بسرعة :

– بالتأكيد يافتاتي العزيزة .. سوف يسعدني أن أفعل كل ما في استطاعتي ... وإن كنت أشك في أنني أستطيع أن أفعل شيئاً كثيراً في هذه الأيام .

ولعله قال ذلك تمهيداً للانسحاب بلباقة .. ولكن الفتاة لم تدرك غرضه .

لم تكن من أولئك الذين يستطيعون التفكير في أمرين في وقت واحد ، وكانت متاعبها الخاصة تستأثر بكل اهتمامها وتفكيرها .. ثم إنها كانت واثقة بأن السيد " **إدوارد**" لن يخيب لها رجاء .

قالت :

– إننا في مأزق مخيف يا سيد " **إدوارد** " .

– أنتم ؟ هل أنت متزوجة ؟

– كلا .. أعني أنا وأخي .. بل و"**ويليم**" و"**إيميلي**" أيضاً .

ولكن يجب أن أوضح لك الأمر من بدايته .. كانت لي عمة ، هي الآنسة "**كرابتري**" ... هل قرأت عنها في الصحف ؟ كانت نهايتها مؤلمة ومخيفة .. إنها قتلت ..

فلمعت عينا السيد "**إدوارد**" باهتمام وقال :

– آه .. قتلت منذ شهر تقريباً .. أليس كذلك ؟

فأطرقت الفتاة برأسها علامة الإيجاب وقالت :

– بل منذ أقل من شهر .. وبالتحديد ، منذ ثلاثة أسابيع .

– نعم ... أذكر أنني قرأت عن هذا الحادث ... إنها قتلت في بيتها .. أصيبت بضربة على الرأس قضت على حياتها ، ولم يستدل البوليس على القاتل .

فتنهدت الفتاة وقالت :

– نعم .. لم يقبضوا على القاتل .. وإني أرتاب في أنهم سيقبضون عليه في أحد الأيام .. إذ من المحتمل ألا يكون له وجود .

نعم ، إن الموقف محير ومخيف ، وقد كفت الصحف عن الكتابة عن الحادث... أو الإشارة إلى نشاط يقوم به رجال البوليس للقبض على القاتل .. هل تعرف لماذا ؟ لأن رجال البوليس واثقون بأن أحداً لم يدخل البيت في تلك الليلة .

– تعنين . . . .

– أعني أن البوليس يعتقد أن القاتل هو واحد منا نحن الأربعة .. ولكنهم لايعرفون من هو . . . ونحن لا نعرف . . . . إننا نجلس معاً كل يوم وينظر كل منا إلى الآخر في شك وتساؤل ..

ياإلهي !! كم أتمنى أن يكون القاتل شخصاً من الخارج ولكن ذلك مستحيل.

فتفرس السيد "**إدوارد** " في وجهها وقال وقد أثارت فضوله إلى أقصى حد :

– هل تعنين أن رجال البوليس يرتابون في أفراد الأسرة ؟

– نعم ، هذا ما أعنيه .. إنهم لم يصرحوا بذلك بالتأكيد . وقد كانوا على جانب كبير من اللطف والأدب ، ولكنهم فتشوا البيت تفتيشاً دقيقاً واستجوبونا جميعا ، بل واستجوبوا خادمتنا "**مارتا**" أكثر من مرة ، بيد أنهم لم يوجهوا الاتهام بعد إلى أحد . ولعلهم يبحثون عن مزيد من القرائن والأدلة . . . .

– إنني خائفة يا سيد "**إدوارد**" .. ولا يغمض لي جفن من الخوف .

– رفهي عنك يا بنيتي العزيزة .. لا شك أنك تبالغين في التشاؤم .

– كلا يا سيد "**إدوارد** " .. القاتل هو واحد منا ، هذا أمر لا شك فيه .

– من هم الأربعة الذين أشرت إليهم ؟

فاعتدلت "**مجدالين**" في جلستها وقالت في مزيد من الهدوء :

– أنا وأخي "**ماتيو**" .. ونحن توءم كما تعلم . . . . ولم تكن الآنسة "**ليلي كرابتري**" عمتنا بالمعنى المفهوم .. وإنما كانت شقيقة جدتنا .. ونحن نقيم معها منذ أن بلغنا الرابعة عشرة من عمرنا .

أما الشخصان الآخران فهما "**ويليم كرابتري**" وهو ابن أخ الآنسة "**كرابتري**" وزوجته "**إيميلي** " ..

فقال السيد "**إدوارد** " :

– هل كانت العمة تنفق على "**ويليم**" وزوجته "**إيميلي** " ؟

– إلى حد ما ، إن لـ "**ويليم**" دخلاً خاصاً بسيطاً . . . ولكنه إنسان ضعيف البنية، هادئ الطباع ، لايغادر البيت إلا نادراً ، ومن المستحيل أن يكون قد ارتكب الجريمة .

– إنني مازلت بعيداً عن فهم الموقف .. هل لك أن تذكري لي الحقائق .. كل الحقائق .. إذا لم يكن في ذلك ما يضايقك ؟

– إن كل شيء واضح في ذهني تمام الوضوح ، وكان في نيتي أن أذكر لك الأحداث بالتفصيل .

ذات يوم منذ ثلاثة أسابيع ، تناولنا الشاي معاً ، ثم انصرف كل منا لعمل يهمه، أنا انصرفت للحياكة ، و"**ماتيو**" شرع في نسخ مقال على الآلة الكاتبة لإرساله إلى إحدى المجلات .. لأنه يشتغل بالصحافة كهواية ، أما "**ويليم**" فإنه أكب على مجموعة من طوابع البريد لتنسيقها ، أما "**إيميلي**" فإنها لم تتناول الشاي معنا لأنها كانت تشعر بصداع شديد فتناولت بعض الأقراص المهدئة ولزمت فراشها .

وهكذا كنا جميعاً في المنزل وكل منا في شغل بأمر ما ، وعندما أعدت "**مارتا**" طعام العشاء في الساعة السابعة والنصف وذهبت لتخطر العمة بذلك وجدتها جثة هامدة ورأسها مهشم .

قالت "**مجدالين**" ذلك ووضعت يدها على عينيها كأنما لتحجب عنهما منظراً مروعاً .

قال السيد "**إدوارد**" :

– أظن أن رجال البوليس وجدوا الأداة التي ارتكبت بها الجريمة .. أليس كذلك!؟

– بلى .. كانت الأداة كتلة من الحديد تستخدم كثقل للأوراق .

وكان مكانها دائماً على المكتب بجوار الباب . وقد وجدت بعض أدراج المكتب مفتوحة ، كما لو أن شخصاً كان يبحث فيها عن شيء .. وكان أول ما تبادر إلى أذهاننا بطبيعة الحال ، هو أن لصاً تسلل إلى قاعة المكتب وقتلها بقصد السرقة .

ثم جاء رجال الشرطة وقالوا إنها ماتت منذ ساعة على الأقل ، وسألوا "**مارتا**" عمن دخل البيت فقالت لا أحد ..

وأضافت أن جميع النوافذ والأبواب كانت مغلقة من الداخل .

ويبدو أن القاتل لم يسرق شيئاً ولم يعبث بشيء فيما عدا الأدراج .

ومن ثم شرع رجال الشرطة في إلقاء الأسئلة .

وصمتت "**مجدالين**" ، وراح صدرها يعلو ويهبط بينما تعلقت عيناها بوجه

السيد "**إدوارد**" وفيهما نظرة تجمع بين الخوف والتوسل .

قال السيد "**إدوارد**" :

– من الذي يستفيد من موت عمتك ؟

– كلنا نستفيد من موتها ، فقد أوصت بأن توزع ثروتها بيننا بالتساوي .

– بماذا تقدر الثروة ؟

– قال محاميها إن ثروتها تقدر بثمانين ألفاً من الجنيهات بعد سداد ضريبة التركات .

ففتح السيد "**إدوارد**" عينيه في دهشة وقال :

– إنها ثروة ضخمة .. هل كنتم تعرفون قيمتها ؟

فهزت "**مجدالين**" رأسها سلباً وأجابت :

– كلا .. كان كلام المحامي مفاجأة لنا .. ذلك أن العمة "**ليلي**" كانت شديدة الحرص والتقتير .. وكانت تحض خادمتنا دائماً على الاقتصاد .

فأطرق السيد "**إدوارد**" برأسه مفكراً وانحنت "**مجدالين**" إلى الأمام وقالت متوسلة :

– إنك ستساعدني يا سيد "**إدوارد**" .. أليس كذلك ؟

ومن حسن حظها أن قصتها كانت قد أثارت فضوله ولكنه قال :

– وماذا في استطاعتي أن أفعل يا سيدتي العزيزة ؟ إذا كنت تنشدين مشورة رجل قانون فإني على استعداد لأن أدلك على ..

ولكنها قاطعته بقولها :

– كلا .. لا أريد مشورة أحد .. أريدك أنت أن تساعدني شخصياً .. كصديق..

– ولكن يا سيدتي العزيزة ..

– تذكر أنك وعدت أن تساعدني في أي شيء .. وفي أي زمان ومكان ...

ونظرت إليه بعينين تفيضان بالثقة والتوسل ، فشعر بخجل وتأثر غريبين ...

أثر فيه صدقها ، وصراحتها .. وإيمانها المطلق في إخلاصه للوعد العابر ، الذي تفوه به منذ عشرة أعوام .

ولكن ما أكثر الرجال الذين ينطقون بمثل هذا الوعد .. وربما بنفس الصيغة والألفاظ !!

ترى كم منهم طلب إليه أن يفي بوعده !!

قال في شيء من التخاذل :

– أنا واثق بأن هناك كثيرين يستطيعون مساعدتك أفضل مني .

فأجابت :

– إن لي أصدقاء عديدين .. ولكن ليس بينهم من يضارعك في البراعة .. إنك تعودت أن تسأل الناس وتلقي الضوء على القضايا الغامضة .. إن من كانت له مثل خبرتك وتجاربك يستطيع أن يعرف بسهولة .

– يعرف ماذا ؟

– يعرف ما إذا كانوا أبرياء أم مذنبين .

فلم يتمالك نفسه من الابتسام بشيء من الخيلاء ..

نعم ، إنه يغبط نفسه ، لأنه كان دائماً يعرف ... رغم أن وجهات نظره لم تكن تتفق دائماً مع وجهات نظر المحلفين .

ودفعت "**مجدالين**" قبعتها إلى الوراء بحركة عصبية ، وأجالت الطرف حولها وقالت :

– ما أشد الهدوء هنا !! ألا تتوق أحياناً إلى بعض الضوضاء ؟

ومست هذه الكلمات التي نطقت بها المرأة الشابة – جزافاً– شيئاً في أعماقه.

نعم ، إنه يعيش في شارع مسدود .. بعيداً عن الضوضاء والناس .. ولكنه يستطيع دائماً أن يخرج إلى الدنيا من جديد ... من نفس الطريق الذي دخل منه...

وأحس فجأة بنشاط الشباب ، وحماسته ..

إن ثقتها العمياء به قد مست أجمل ما في نفسه ... ومشكلتها الغريبة قد أثارت فيه فضول العالم الذي يبحث عن الحقيقة .

وشعر بحاجته إلى مقابلة الأشخاص الذين تحدثت عنهم الزائرة الشابة ... لكي يحكم عليهم بنفسه .

قال :

– إذا كنت واثقة بأنني أستطيع أن أفيدك ... فإنني أضع نفسي في خدمتك... إنما يجب أن تعلمي أنني لا أعدك بشيء ... ولا أضمن شيئاً ..

وتوقع أن تقفز الزائرة فرحا ، ولكنها تقبلت موافقته في هدوء تام .

قالت :

– كنت أعلم أنك ستساعدني . . . لقد كنت دائماً أفكر فيك كصديق وفي . . . هل ستأتي معي الآن ؟

– كلا . . . أعتقد أن من الأفضل أن أزورك غداً . . هل لك أن تذكري لي اسم محامي عمتك وعنوانه ؟ قد أجد من الضروري أن ألقي عليه بضعة أسئلة .

فكتبت الاسم والعنوان على ورقة قدمتها إليه ، وقالت :

– أشكرك كثيراً يا سيد "**إدوارد**" وإلى اللقاء غدا.

– وعنوانك ؟

– ياإلهي ! ما أشد غبائي !! العنوان رقم 18 شارع "**بالاتاين**" في "**شلسي**" .

- 2 -

كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة من بعد ظهر اليوم التالي عندما اقترب السيد "**إدوارد**" من رقم 18 بشارع "**بالاتاين**" وهو يمشي الهوينى .

لم تكن هذه أولى خطواته في القضية . . . فقد ذهب في الصباح إلى إدارة "**اسكتلنديارد**" ، وقابل هناك صديقاً قديماً يشغل منصب مساعد المدير .

ثم قابل بعد ذلك محامي الآنسة "**ليلى كرابتري**" . . ووقف منه على بعض معلومات ساعدته على أن يرى الأمور بمزيد من الوضوح .

ولعل من الحقائق العجيبة التي ذكرها المحامي عن الآنسة "**كرابتري**" أنها لم تكن تستخدم دفاتر الشيكات في معاملاتها . . . وأنها كانت تكتب إلى المحامي خطاباً تطلب إليه فيه أن يعد لها مبلغاً من المال من أوراق النقد فئة خمسة الجنيهات . . ثم تذهب إليه بنفسها لتتسلمه . .

كانت دائماً تطلب نفس المبلغ . . ثلثمائة من الجنيهات أربع مرات كل عام . . تطلب ألفا ومائتي جنيه على أربعة أقساط .

وفي "**اسكتلنديارد**" ، علم السيد "**إدوارد**" أن الناحية المالية كانت موضع

اهتمام القائمين بتحقيق القضية ، وأن موعد حصول الآنسة "**كرابتري**" على القسط التالي من الأقساط الأربعة كان قد اقترب .. ومعنى ذلك أنها أنفقت القسط الأخير كله أو أغلبه ..

ولكن كم أنفقت من هذا القسط الأخير وكم تبقى؟

ذلك ما لم يستطع المحقق أن يقطع فيه برأي ، لأن مراجعة مصروفات البيت، دلت، بما لا يدع مجالاً للشك ، على أن الآنسة "**كرابتري** " كانت تنفق مبلغاً أقل كثيراً من الثلثمائة جنيه التي تأخذها كل ثلاثة أشهر .

ولكن المحقق علم من ناحية أخرى ، أن الآنسة "**كرابتري**" تعودت أن ترسل إلى المحتاجين من أصدقائها وأقاربها أوراق نقد من فئة خمسة الجنيهات على سبيل المساعدة .

فكم بقي لديها من القسط الأخير بعد النفقات والمساعدات ؟

ذلك ما لا يعلمه أحد ..

الشيء المؤكد الوحيد .. هو أن البيت كان خالياً تماماً من النقود عند موتها .. وتلك هي النقطة التي كان السيد " **إدوارد باليستر**" يفكر فيها وهو يقترب من البيت .

دق الباب ففتحته امرأة متقدمة في السن ، ذكية النظرات ، سريعة الحركة ، وقادته إلى غرفة فسيحة ...ولم تلبث "**مجدالين**" أن وافته إليها .

كانت دلائل التوتر العصبي أوضح في وجهها مما كانت في اليوم السابق .

قال السيد "**إدوارد**" وهو يشد على يدها ويبتسم :

– إنك طلبت إلي أن ألقي بعض الأسئلة وهأنذا قد جئت .

أريد الآن أن أعرف من كان آخر شخص رأى عمتك وهي على قيد الحياة .. ومتى كان ذلك ؟

فأجابت :

– إننا تناولنا الشاي في الساعة الخامسة ، وكانت "**مارتا**" آخر شخص رآها على قيد الحياة .. لأنها ابتاعت لها بعض الكتب وذهبت إليها لتعطيها ما تبقى من النقود .

– هل تثقين بـ "**مارتا**" ؟

– كل الثقة .. إنها قضت في خدمة عمتي زهاء ثلاثين عاماً وكانت دائماً مثال الإخلاص والأمانة .

فأطرق السيد "**إدوارد**" برأسه قليلاً ثم قال :

– سؤال آخر . لماذا تناولت "**إيميلي** "عقاراً مهدئاً ؟

– لأنها كانت تشعر بصداع .

– طبعاً .. طبعاً .. ولكن هل كان هناك سبب خاص للصداع ؟

– نعم .. فقد قامت مشادة بينها وبين العمة في أثناء تناول طعام الغداء . إن "**إيميلي**" عصبية ، سريعة الانفعال . والخلاف بينها وبين العمة "**ليلى**" أمر مألوف .

– وهكذا قام خلاف بينهما في أثناء تناول الغداء .

– نعم ، كانت العمة "**ليلى** " تهتم بالتوافق .. وقد بدأ الخلاف من لا شيء . ثم تطور واحتدم ، وقالت "**إيميلي**" كلاماً لا تعنيه حقاً .. ولا يمكن أن تعنيه ... قالت إنها ستغادر البيت ولن تعود إليه أبداً .. وإن العمة "**ليلى**" تحقد عليها من أجل كل كلمة تقولها .. وكلاماً كثيراً سخيفاً .. فقالت العمة "**ليلى**" إن خير البر عاجله .. وإنها كلما عجلت هي وزوجها بالرحيل كان ذلك أفضل .

ولكن كل هذا الكلام من الجانبين لم يكن له في الواقع أي معنى أو نتيجة .

– لأن "**إيميلي** وزوجها لا يملكان المال الكافي للرحيل والإقامة وحدهما في بيت خاص ؟

– ليس ذلك فقط ... وإنما لأن "**ويليم**" كان يحب العمة ولا يفكر في الابتعاد عنها ...

– ألم تحدث مشاجرات أخرى في ذلك اليوم ؟

فاحمر وجه "**مجدالين**" وقالت :

– هل تعنيني بذلك ؟ هل تعني الضجة التي ثارت بسبب رغبتي في أن أعمل عارضة أزياء ؟

– هل كانت عمتك تعارض هذه الرغبة ؟

– نعم ..

– ولماذا أردت أن تعملي عارضة أزياء يا آنسة "**مجدالين**" ؟ هل تروقك حياة عارضات الأزياء ؟

– كلا .. ولكن أي شيء أفضل من حياة الخمول هنا .

– كان ذلك رأيك قبل وفاة عمتك .. أما الآن فإنك أصبحت ذات إيراد كبير خاص بك ..

– نعم . إن الموقف قد تغير الآن .

قالت ذلك ببساطة ..

وابتسم السيد "**إدوارد**" .. ولكنه لم يستمر في مناقشة هذا الموضوع وإنما قال :

– وأخوك ؟ هل تشاجر كذلك مع العمة ؟

– "**ماتيو**" ؟ كلا .

– هل أفهم من ذلك أن أحداً لا يستطيع أن يزعم أن لـ "**ماتيو**" مصلحة في موت العمة ؟

فخفقت أهداب "**مجدالين**" بسرعة ، ولاحظ السيد "**إدوارد**" ذلك واستطرد قائلاً على الفور :

– يقال إن أخاك مثقل بالديون .. فهل هذا صحيح ؟

– نعم للأسف .

– على كل حال ، إن متاعبه قد انتهت الآن ..

فتنهدت وقالت :

– نعم وهذا أمر يدعو للارتياح .

قالت ذلك أيضاً ببساطة .. دون أن تفطن إلى أن هذه الأقوال من شأنها أن تدعم الشكوك التي تحوم حولها وحول أخيها .

ولم يعقب السيد "**إدوارد**" على إجابتها وقال بسرعة :

– هل الجميع في البيت الآن ؟

– نعم .. لقد أنبأتهم بأنك ستحضر .. وهم على استعداد للتعاون معك بغير

حدود .. أواه يا سيد " **إدوارد**" قلبي يحدثني بأنك ستجد كل شيء على مايرام ، وأن أحداً منا ليس له ضلع فيما حدث .. وأن القاتل شخص من الخارج .

فقال :

– أنا لا أصنع المعجزات ، قد أستطيع أن أعرف الحقيقة ولكنني لا أستطيع أن أجعل الحقيقة تلائم رغباتك .

– لاتستطيع ؟ يخيل إليّ أنك تستطيع أي شيء .. وكل شيء .

قالت ذلك وغادرت الغرفة .. وشيعها السيد "**إدوارد**" ببصره وهو يشعر ببعض الانزعاج .

وقال يحدث نفسه :

– ماذا تعني بهذا الكلام؟ هل تريدني أن أنقذ شخصاً ما من تبعات جريمته؟ ومن هو الشخص ؟

وقطع عليه حبل تفكيره دخول رجل يناهز الخمسين من عمره ، قوي البنية ، بعرج في مشيته قليلاً . ويدل مظهره على أنه لا يعني كثيراً بهندامه .

هتف الرجل حالما رأى السيد "**إدوارد**" :

– السيد "**إدوارد باليستر**" ؟لقد أرسلتني " **مجدالين**" إليك ... إنه لكرم منك أن تأتي لمساعدتنا .. ولكنني واثق بأن جميع الجهود ستذهب سدى.. وأن البوليس لن يقدر على القبض على القاتل .

– هل تعتقد أن القاتل لص جاء من الخارج ؟

– هذه الجريمة لم يرتكبها أحد من أفراد الأسرة .. أنا واثق بذلك .. إن اللصوص قد برعوا في هذه الأيام .. إنهم يدخلون البيوت ويخرجون منها كما يريدون .

– أين كنت وقت حدوث المأساة يا سيد "**كرابتري**" ؟

– كنت في غرفتي بالطابق الأول أنسق مجموعتي من طوابع البريد

– ألم تسمع شيئاً ؟

– كلا .. إنني عادة لا أسمع شيئاً حين أكون مشغولاً بأمر ما .. وهذا خطأ .. ولكن ما حيلتي ... إنني طبعت على ذلك .

– هل تقع غرفتك فوق هذه الغرفة ؟

– كلا . . إنها في الجناح الخلفي .

وفتح الباب مرة أخرى ، ودخلت سيدة شقراء صغيرة الحجم . .

كانت تقبض أصابعها وتبسطها بطريقة عصبية ، وكانت تبدو على وجهها دلائل الخوف والجزع .

قالت تحدث "**كرابتري**" :

– لماذا لم تنتظرني يا "**ويليم**" ؟ ألم أطلب إليك أن تنتظرني لكي نحضر معاً ؟

– أنا آسف يا عزيزتي . . لقد نسيت . .

ثم التفت إلى السيد "**إدوارد**" وقال :

– هذه زوجتي "**إيميلي**" يا سيد "**باليستر**" .

– كيف أنت يا سيدة "**كرابتري**" ؟ أرجو ألا يضايقك أن ألقي عليكم بعض الأسئلة . . إنني أعرف مدى قلقكم ورغبتكم في كشف الحقيقة . .

– هذا طبيعي . . ولكني لا أستطيع أن أفيدك بشيء . أليس كذلك يا "**ويليم**" ؟ إنني كنت نائمة في فراشي ولم أستيقظ إلا حينما صرخت "**مارتا**" .

– أين تقع غرفتك يا سيدة "**كرابتري**" ؟

– فوق هذه الغرفة . ولكني لم أسمع شيئاً . . كيف كان يمكنني أن أسمع وأنا نائمة ؟

ولم يظفر منها بأكثر من هذا . .

قالت إنها لا تعرف شيئاً ، ولم تسمع شيئاً . . وإنها كانت نائمة . .

وكررت هذا الكلام وأصرت عليه بعناد المرأة الخائفة . . وأحس السيد "**إدوارد**" بأنها لم تذكر إلا الحقيقة وعبر عن رغبته في إلقاء بضعة أسئلة على الخادمة "**مارتا**" فتطوع "**ويليم كرابتري**" لمرافقته إلى المطبخ .

وفي الردهة ، كاد السيد "**إدوارد**" يصطدم بشاب طويل القامة كان يهرول مسرعاً في طريقه إلى الباب الرئيسي .

قال السيد "**إدوارد**" يحدثه :

– ألست السيد "**فون**" ؟

– بلى .. ولكني لا أستطيع الانتظار .. لأنني على موعد مع أحد الأشخاص .

وسمعته "**مجدالين**" وهي تهبط درج السلم وصاحت تعاتبه :

– "**ماتيو**" .. إنك وعدت بأن ..

فقاطعها قائلاً بسرعة :

– نعم يا أختاه .. ولكني لا أستطيع البقاء لأنني على موعد .. ثم ما الفائدة من الكلام وتكراره في هذا الموضوع المزعج ؟ ألم تكفنا مضايقات البوليس ؟ الحق أنني سئمت هذا كله .

قال ذلك وخرج ، وصفق الباب وراءه بشدة .

وذهب السيد "**إدوارد** " إلى المطبخ ، وكانت "**مارتا**" تكوي بعض الملابس ، فلما أبصرت به ، كفت عن العمل .. ورفعت المكواة في يدها وتفرست فيه .

وأغلق السيد "**إدوارد**" الباب وقال :

– لقد طلبت الآنسة "**مجدالين فون**" معونتي فهل لديك مانع من أن ألقي عليك بعض الأسئلة ؟

فهزت المرأة رأسها وقالت :

– لا أحد منهم ارتكب هذه الجريمة يا سيدي .. إنني أعرف ما يدور بخلدك ولكنك مخطئ .. هؤلاء القوم رجال ونساء ، من أكرم الناس وأنبلهم خلقاً .

– ليس لدي شك في ذلك ، ولكن كرمهم ونبلهم لا يعتبران دليلاً .

– ربما . إن القانون شيء مضحك حقاً .. ولكن هناك الدليل الذي تتحدث عنه يا سيدي .. إن أحداً منهم لم يكن في استطاعته ارتكاب الجريمة دون أن أعلم.

فنظر إليها في دهشة فقالت : – إنني أعرف ما أقول يا سيدي .. أصغ .

ورفعت أصبعها وأنصتت ..

كانت تنصت إلى صوت صادر من فوق رأسها .

قالت :

– هذا الصوت من درج السلم يا سيدي .. كلما صعد أحد أو هبط ، انبعث

هذا الصرير المزعج من درج السلم . ومهما حرصت على الهبوط والصعود في هدوء وحذر . فإن الصرير لا مفر منه . لقد كانت السيدة "**إيميلي كرابتري**" في فراشها، وكان زوجها يلهو بطوابعه اللعينة .

بينما كانت الآنسة "**مجدالين**" تعمل على آلة الخياطة . ولو كان قد هبط أحد هؤلاء الثلاثة على درج السلم ، لعرفت على الفور .

كانت تتحدث عن ثقة فاقتنع المحامي وقال لنفسه :

– هذه شاهدة صادقة وكلامها له ثقة .

ثم قال يحدثها :

– لعل أحدهم هبط السلم دون أن تلاحظي ..

– مستحيل .. إنني أعرف دون أن ألاحظ .. تماماً كما تسمع باباً يغلق فتدرك أن شخصاً خرج .

– إنك تحدثت عن ثلاثة أشخاص ، ولكن هناك رابعا.. فهل كان السيد "**ماتيو فون**" في الطابق الأول أيضاً ؟

– كلا .. كان في الطابق الأرضي في الغرفة الصغيرة المجاورة .. وكان يكتب على الآلة الكاتبة .. إن صوتها يسمع واضحاً من هنا ... وأستطيع أن أقسم أنه لم يكف عن الكتابة .. لأن صوت الآلة اللعينة لم ينقطع لحظة واحدة .

فتريث السيد "**إدوارد**" لحظة ثم سأل :

– هل أنت التي اكتشفت الحادث ؟

– نعم يا سيدي ... كانت ممددة على الأرض ، وشعرها ملوث بالدم .. ولم يسمع أحد شيئاً مما حدث بسبب جلبة الشارع .

– هل أنت واثقة بأن أحداً لم يحضر إلى البيت ؟

– كيف يحضر إنسان دون علمي ؟ ... إن للبيت باباً واحداً .. وجرس الباب يدق هنا في المطبخ .. فلو جاء زائر وضغط الزر فإن الجرس يرن هنا .

فقال وهو ينظر في عينيها :

– هل كنت تحبين الآنسة "**ليلى كرابتري**" ؟

فلمعت عيناها على الفور وقالت وفي صوتها نبرة صدق وإخلاص لا تخطئها الأذن :

– نعم يا سيدي كنت أحبها كثيراً .. ولا بأس من أن أصارحك ببعض الحقائق التي لا يخجلني الآن أن أذكرها بعد أن طعنت في السن ..

إنني ارتكبت هفوة ووقعت في ورطة وأنا فتاة .. ولولا الآنسة "**ليلي**" لساء مصيري ... إنها أفسحت لي صدرها وأعادتني إلى العمل في هذا البيت بعد أن طردت منه .. لقد كنت على استعداد لأن أفديها بحياتي .

– هل أفهم من ذلك أن أحداً لم يدخل من الباب ؟

– نعم يا سيدي .

– ولكن هبي أن الآنسة "**ليلى**" كانت تنتظر قدوم شخص ما ، وأنها فتحت له الباب بنفسها ...

فوجمت المرأة .. ولم تجد جواباً ، وقال السيد "**إدوارد**" :

– ذلك ممكن ... أليس كذلك ؟

– بلى .. ممكن .. ولكنه غير مألوف .. أعني ..

ولاحظ السيد "**إدوارد**" وجومها وترددها ، وأنها تحاول أن تنفي احتمال دخول أحد دون علمها ...

ولكن لماذا؟

هل لأنها تعلم أن القاتل لم يأت من الخارج ، وأنه أحد الأشخاص الأربعة ؟

هل سمعت صرير درج السلم وأدركت هذه الحقيقة ولكنها تريد التستر على أفراد الأسرة ؟

وأي الأفراد الأربعة هو القاتل ؟

قال دون أن يحول عينيه عن وجهها :

– كان في وسع الآنسة "**ليلي**" أن تفعل ذلك بطبيعة الحال .. أعني أن تفتح الباب بنفسها لشخص تنتظر قدومه ... إن نافذة غرفة المكتب تطل على الشارع.. ومن المحتمل أن تكون الآنسة "**ليلي**" قد لمحت ذلك الشخص حين مر أمام النافذة في طريقه إلى الباب ، فخرجت إلى البهو وفتحت له الباب . ومن المحتمل

أيضاً أنها لم تشأ أن يرى أحد ذلك الشخص .. أليس كذلك ؟

فبدا كأنما الفكرة قد راقتها فرددت :

– نعم .. ربما كنت على صواب .

– هل كنت آخر من رآها على قيد الحياة ؟

– نعم يا سيدي ... بعد أن حملت أدوات الشاي ، ذهبت إليها بالكتب التي طلبت إلي شراءها ، وبباقي النقود التي أعطتها لي .

– هل أعطتك النقود أوراق نقد فئة خمسة الجنيهات ؟

– أعطتني ورقة واحدة من فئة خمسة الجنيهات لأن ثمن الكتب لم يكن يتجاوز هذا المبلغ .

– أين كانت تضع النقود ؟

– لا أعلم على وجه التحديد يا سيدي ... أكبر الظن أنها تضعها في حقيبة مصنوعة من القطيفة السوداء تحملها معها ... ولكن من المحتمل أيضاً أنها كانت تضعها في درج بمكتبها أو مخدعها .. وتحتفظ بمفتاحه معها .. إنها كانت شغوفة بالاحتفاظ بالمفاتيح رغم أنها كثيراً ما كانت تفقدها .

– ألا تعرفين كم كان عندها من النقود .. أعني من أوراق النقد فئة خمسة الجنيهات ؟

– كلا يا سيدي ؟

– هل أنت واثقة ؟ ماذا قالت لك بالتحديد ؟

ففكرت "**مارتا**" قليلاً ثم أجابت :

– قالت إن القصاب (الجزار) لص وغشاش ، وإنني استهلكت ربع رطل من الشاي أكثر من اللازم . وإن من السخف أن ترفض السيدة "**إيميلي** " الطعام المطهو بالسمن النباتي .. ثم أبدت اعتراضها على قطعة نقد جديدة من فئة ستة البنسات كنت قد أخذتها من المكتبة ضمن النقود المتبقية من الكتب ، قالت إنها لم تر هذه القطع الجديدة ولا تعترف بها .. وقد وجدت صعوبة في إقناعها بقبولها ..

ذلك كل ما حدث في لقائنا الأخير يا سيدي .

ومن هذه العبارات البسيطة الموجزة ، عرف السيد " **إدوارد**" عن أخلاق المرأة وطباعها وأسلوب حياتها ما يقصر الوصف المسهب عن الإلمام به .

قال :

– يبدو أنها كانت سيدة صعبة المراس .

– كانت تهتم بالتوافه .. ولعل السبب أن المسكينة لم تكن تخرج إلا نادراً فكانت بحاجة إلى ما تشغل به نفسها ولكنها كانت طيبة القلب إلى أبعد الحدود، ولم يحدث قط أنها ردت سائلاً عن بابها دون أن تعطيه شيئاً .. صحيح أنها كانت دقيقة في معاملاتها ولكنها كانت محسنة كريمة . !

يسرني أن أعلم أنها تركت شخصاً واحداً على الأقل يأسف على موتها ففتحت الخادمة عينيها في دهشة واستنكاروهتفت قائلة :

– هل تعني أن .. ولكن لا ... لقد كان الجميع في قرارة نفوسهم يحبونها من كل قلوبهم .. صحيح أنهم كانوا يختلفون معها أحياناً .. ولكنها كانت خلافات سطحية على أمور لا أهمية لها .

وسمع السيد "**إدوارد**" في هذه اللحظة صرير درج السلم فرفع رأسه وقالت "**مارتا**" :

– هذه الآنسة "**مجدالين**" تهبط السلم .

– كيف عرفت ؟

فاحمر وجهها وغمغمت :

– إنني أعرف وقع قدميها .

فغادر السيد "**إدوارد**" المطبخ مسرعاً . ووصل إلى درج السلم في الوقت المناسب ليرى "**مجدالين**" وهي تهبط .

لقد كانت الخادمة العجوز على صواب .

ونظرت "**مجدالين**" إلى المحامي الشيخ وفي عينيها أمل ورجاء ، فرد على نظرتها بقوله :

– إننا لم نتقدم كثيراً بعد .. هل تعلمين ما إذا كانت عمتك قد تسملة رسائل

في يوم وفاتها ؟

فأجابت :

– إن كل رسائلها موجودة في مكان واحد ، وقد اطلع عليها رجال البوليس بطبيعة الحال .

وقادته إلى غرفة المكتب ، وفتحت درجاً وأخرجت منه حقيبة من القطيفة السوداء قدمتها إليه قائلة :

– هذه حقيبة عمتي وفيها كل شيء كما تركته يوم وفاتها ، وقد حرصت على ألا يمسها أحد .

فشكرها السيد "**إدوارد** " ، وأفرغ محتويات الحقيبة على سطح المكتب .

كانت المحتويات نموذجاً لما يوجد في حقيبة سيدة متقدمة في السن ، غريبة الأطوار ، فهي تتضمن بعض قطع النقود الفضية القديمة ، وحبتي بندق ، وثلاث قصاصات من الصحف عن كتاب جديد للتدبير المنزلي وقصيدة شعرية عن البطالة وثلاث رسائل ، الأولى تحمل توقيع : . ابنة العم "**لوسي** " ، والثانية تتضمن فاتورة إصلاح ساعة ، والثالثة من إحدى المؤسسات الخيرية .

فحص السيد "**إدوارد**" المحتويات بعناية تامة ، ثم أعادها إلى الحقيبة وإلى "**مجدالين** " وهو يتنهد .

وقال :

– شكراً لك يا آنسة "**مجدالين**" .. فليس في محتويات الحقيبة ما يفيدنا كثيراً .

ونهض واقفاً ، وتحقق من أن النافذة تطل على الشارع ، بحيث يستطيع الجالس في الغرفة أن يرى المارة .

ثم تناول يد "**مجدالين**" بين يديه فهتفت قائلة :

– أذاهب أنت الآن ؟

– نعم .

– ولكن .. هل ترى أن كل شيء على ما يرام ؟

فأجاب ببطء وهدوء :

– لا يوجد رد على سؤال كهذا .

قال ذلك وشد على يدها ولاذ بالفرار .

- 3 -

سار في الطريق ببطء وهو مستغرق في التفكير .. ها هو اللغز أمامه ، يتحداه ، ويتحدى ذكاءه وخبرته ، وهو لا يجد له حلاً .

كان يشعر بأنه بحاجة إلى مؤشر بسيط يهديه إلى الطريق .

وفجأة ، شعر بيد توضع على كتفه ، ورأى "**ماتيو فون**" يسير معه جنباً إلى جنب وهو يلهث .

قال الشاب :

– إنني أطاردك منذ بضع دقائق يا سيد "**إدوارد**" لكي أعتذر لك عما بدر مني من غلظة وجفاء ، والواقع أنني أعاني هذه الأيام ضيق الصدر وتوتر الأعصاب للأسباب التي تعرفها .

لقد كان كرماً منك أن تهتم بهذه القضية .. وهأنذا على استعداد لأن أجيبك عن أي سؤال تلقيه . وإذا كان هناك ما أستطيع عمله فإنني ..

ولم يتم عبارته .. فقد رفع السيد " **إدوارد** " رأسه بغتة ، وتعلقت عيناه بشيء في الجانب الآخر من الشارع .

وكرر الشاب عبارته :

– إذا كان هناك ما أستطيع عمله .. فإنني .. فقاطعه السيد "**إدوارد** " قائلاً :

– إنك عملت ما تستطيع فعلاً حين استوقفتني في هذا المكان بالذات ، مما لفت نظري إلى شيء ما كنت لألاحظه لو أنني مضيت في طريقي .

وأشار إلى لافتة في الجانب الآخر من الشارع فقرأ "**ماتيو**" ما كتب على اللافتة :

–(مطعم البنسات الستة) .

– ثم أضاف :

– هذا مطعم صغير يبيع الشطائر .. إن اسمه غريب .. ولكنه يبيع شطائر

شهية . . هل تريد أن تجربه ؟

– شكراً لك . إنني لست في سن تسمح لي بتجربة أطعمة جديدة .

قال ذلك ودار على عقبيه بسرعة فصاح "**ماتيو**" :

– إلى أين أنت ذاهب ؟

– سأعود إلى بيتك يا صديقي .

ولم يدر بينهما حديث طوال الطريق ، رغم نظرات التساؤل التي كان "**ماتيو**" يرنو بها إلى السيد "**إدوارد**" .

وقصد السيد "**إدوارد**" إلى غرفة المكتب مباشرة ، وفتح أحد الأدراج ، وأخرج الحقيبة السوداء ثم نظر إلى "**ماتيو**" نظرة لها معناها ، فغادر الشاب الغرفة على كره منه .

وحينئذ أفرغ السيد "**إدوارد**" محتويات الحقيبة على المكتب وبحث عن شيء ، وأبرقت أساريره .

نعم ، إن ذاكرته لم تخنه .

ثم وضع شيئاً في جيبه ، ودق الجرس ، فأقبلت "**مارتا**" .

قال لها :

– أذكر أنك قلت لي إن مناقشة دارت بينك وبين سيدتك بشأن قطعة نقود جديدة من فئة ستة البنسات .

– نعم يا سيدي .

– الأمر العجيب يا "**مارتا**" هو أنني لم أجد هذه القطعة في الحقيبة .. وجدت قطعتين قديمتين من فئة ستة البنسات . . . ولكن لا أثر للقطعة الجديدة .

فنظرت إليه في حيرة ، فقال :

– هل فهمت ما أعني ؟ لقد جاء أحد الأشخاص في ذلك المساء ، فأعطته سيدتك قطعة النقود الجديدة . . وأظن أنها أعطته إياها ثمناً لهذه . . .

وبحركة سريعة ، أخرج من جيبه ورقة طبعت عليها قصيدة شعرية عن البطالة . . كانت هذه الورقة بين محتويات الحقيبة ، وكان العمال العاطلون يستخدمونها

لاستدرار عطف المحسنين وللحصول على معونة .

وكانت نظرة واحدة إلى وجه "**مارتا**" كافية لإقناع السيد "**إدوارد باليستر**" بأنه أصاب الهدف .

قال بسرعة :

– ها أنت ترين أنني قد عرفت كل شيء .. فصارحيني بالحقيقة يا "**مارتا**" .

فتهالكت على أحد المقاعد و سالت الدموع من عينيها .

قالت :

– نعم .. نعم .. إن رنين الجرس لم يكن واضحا ، فترددت ، وبعد قليل قررت أن أذهب لأرى إذا كان هناك من دق الجرس حقاً .. وعندما مررت بقاعة المكتب ، وكان بابها مفتوحاً ، رأيت شبحاً يهوي على رأسها بشيء ما ورأيتها تسقط .. وكان أمامها على المكتب رزمة من أوراق النقد فئة خمسة الجنيهات ، ولعل وجود هذه الرزمة هو ما أغراه بقتلها ، ولعله ظن حينما فتحت له الباب بنفسها أنها وحدها في البيت .

ولم أقو على الاستغاثة ، فقد أصابني الذعر بالشلل ، وعندما استدار ورأيت وجهه .. عرفت أنه ابني .

كان منحرفاً منذ نعومة أظفاره . وكنت أعطيه كل ما أحصل عليه من أجور ، ويبدو أنه جاء لمقابلتي فلما أبطأت في فتح الباب ، ذهبت الآنسة "**كرابتري**" وفتحته بنفسها ولعله بهت حين رآها ، فبحث عن سبب يبرر به إقدامه على دق جرس الباب فلم يجد خيراً من أن يقدم لها هذه الورقة ..

ولما كانت شديدة العطف على الفقراء والمعوزين ، فأكبر الظن أنها سمحت له بالدخول لتعطيه قطعة النقود من فئة ستة البنسات ..

وكانت رزمة الأوراق المالية على المكتب طول الوقت منذ أن أعطيت الآنسة "**كرابتري**" ما تبقى من ثمن الكتب ، فوسوس إليه الشيطان أن يصرعها ليأخذ النقود .

– ماذا حدث بعد ذلك ؟

– ماذا كان بوسعي أن أفعل يا سيدي ؟ إنه من لحمي ودمي .. كان أبوه رجلاً شريراً ، فسار على نهج أبيه .. ولكنه ابني على كل حال ..

أخرجته من البيت في هدوء ، وعدت إلى المطبخ وأعددت طعام العشاء كالمعتاد.. فهل تراني قد ارتكبت وزراً يا سيدي ؟ إنني حاولت ألا أقول كذباً حينما سألتني .

فقال السيد "**إدوارد** " بصوت متهدج ، وقد غلبه التأثر :

– إنني أرثي لك أيتها المرأة المسكينة .. ولكن العدالة يجب أن تأخذ مجراها كما تعلمين .

– إنه غادر البلاد يا سيدي ، ولا أعرف أين هو الآن .

– إذن فإن لديه فرصة للإفلات من المشنقة ، ولكن ينبغي ألا تعقدي على ذلك أملاً كبيراً .

والآن ، هل لك أن ترسلي الآنسة "**مجدالين**" لمقابلتي ؟

وسمعت "**مجدالين**" الحقائق كما رواها لها بإيجاز ، وصاحت وهي تكاد تطير من الفرح :

– ما أروعك يا سيد "**إدوارد**" ... ما أروعك !! إنك أنقذتنا جميعاً فكيف أستطيع أن أشكرك ؟

فابتسم السيد "**إدوارد** " وقال وهو يربت على يدها إذا احتجت إلى مساعدة مرة أخرى ... فاذهبي إلى محام .

– سأحضر إليك مباشرة .

فصاح في ذعر :

– كلا .. كلا .. ذلك ما لا أريدك أن تفعليه إذا احتجت إلى مساعدة مرة أخرى... فاذهبي إلى محام أصغر سناً مني .

تمّت بعون الله